الوسطية

إسلامية - وسطية - فصلية - مستقلة

العدد السابع والأربعون - السنة الرابعة عشرة - شوال١٤٤٧هـ / آذار ٢٠٢٦م

من أعلام الوسطية

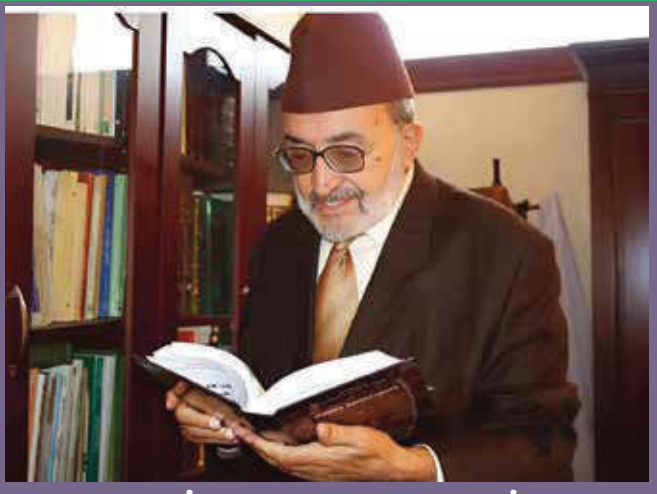

الشيخ عبد الرحمان شيبان

عالم الجزائر، تلميذ الشيخ ابن باديس

أبو جرّة السلطاني يحاضر عن مستقبل
الأمّة الإسلامية في المنتدى العالمي للوسطية

المثقف العضوي في المجتمعات العربية: من الفكرة إلى المعاناة

حوار مع الدكتور أبو جرة سلطاني عن دور المنتدى العالمي في تفعيل الوسطية كرؤية حضارية

مؤتمر " البعد التكاملي العربي .. خيار الضرورة وجدلية الأمن والسلام" في العقبة

د. محمود إبراهيم سيف
سيرة العقل والضمير

تجديد الفقه السياسي السني من الرؤى التاريخية إلى الاجتهادات المعاصرة

القراءات الحداثية للقرآن.. قراءة في المسارات والمآلات

جدلية الأمن والسلام المجتمعي في الفكر الديني والسياسي

الضوابط المعيارية في تنزيل الأحكام الشرعية

الهيئة الاستشارية للمجلة

الدكتور سعد الدين العثماني / المغرب
الدكتور محمود السرطاوي
الدكتور مصطفى عثمان إسماعيل / السودان
الدكتور محمد طلابي / المغرب
الأستاذ الدكتور أبو جرة السلطاني / الجزائر
الدكتور محمد الحاج / الأردن
الدكتور محمد الحلايقة / الأردن
الدكتور زيد المحيسن / الأردن
الدكتور محمد طاهر المنصوري / باكستان

هيئة التحرير

المهندس مروان الفاعوري
الدكتور زهاء الدين عبيدات
الدكتور سليمان الرطروط
الدكتور علي الحجاحجة
الدكتور رشاد الكيلاني
الدكتور مازن الفاعوري
الدكتور زيد المحيسن
الأستاذ بسام ناصر

المشرف العام

الأستاذ بسام ناصر

المراسلات

باسم رئيس التحرير

تصميم وإخراج

سمير اليوسف

المواضيع المنشورة لا تعبّر بالضرورة عن رأي المنتدى العالمي للوسطية وحق الرد مكفول للجميع

الوسطية

إسلامية – وسطية – فصلية – مستقلة

العدد السابع والأربعون– السنة الرابعة عشرة
شوال ١٤٤٧هـ / آذار ٢٠٢٦م

تصدر عن

المنتدى العالمي للوسطية

تحت رقم إيداع
د/ ٢٠١٨/٧٠٨

المملكة الأردنية الهاشمية، عمّان
الجبيهة – شارع ياجوز – عمارة السلامة رقم ٢٢ الطابق الثالث
هاتف: ٥٣٥٦٣٢٩ – فاكس: ٥٣٥٦٣٤٩ – ص.ب: ١٢٤١ عمّان ١١٩٤١ الأردن
E-mail: mod.inter@yahoo.com - Web Site: www.wasatyea.net

المحتويات

ولنا كلمة		3
سايكس بيكو جديدة وانعكاساتها على المنطقة	المهندس مروان الفاعوري	3
من أعلام الوسطية		**6**
الشيخ عبد الرحمان شيبان: فارس القلم وغارس الهمم وحارس القيم	الدكتور أبو جرة سلطاني	7
الشَّيخ عبد الرَّحمان شيبان والمرجعية الدِّينية	د. ناصر حمدادوش	11
المرأة في فكر الشيخ شيبان	نجوى سلطاني	17
رجل اصطبغ بصبغة الله.. فأصبغ بها أجيالا من أمته	د. عبد القادر سماري	**20**
قراءة غائية في "رسالتي إلى الأمة" للدكتور زغلول النجار (٢– ٢)	د. وصفي عاشور أبو زيد	23
دراسات ومقالات شرعية		30
الضوابط المعيارية في تنزيل الأحكام الشرعية (١ – ٢)	د. محمود السرطاوي	**31**
صور من التفسير المغلوط للقرآن الكريم	د. جمال أبو حسان	36
قراءات منهجية		**39**
أصول التفكير العلمي عند الإمام الشافعي في كتاب "الرسالة"	د. بدران بلحسن	40
القراءات الحداثية للقرآن.. قراءة في المسارات والمآلات	زياد أحمد سلامة	44
فكر وسطي تجديدي		**50**
تجديد الفقه السياسي السني من الرؤى التاريخية إلى الاجتهادات المعاصرة	د. حذيفة عكاش	51
جدلية الأمن والسلام المجتمعي في الفكر الديني والسياسي	شيروان شميراني	58
أخلاقيات وتربويات		**62**
كيف يحافظ المسلم على توازنه الإيماني وسط طغيان النزعة المادية؟!	د. عبد الله فرج الله	63
رمضان وتحرير القلب من الشاشة	د. أحمد الزقاقي	**68**
حوارات ومقابلات		70
حوار مع الدكتور أبو جرة سلطاني عن دور المنتدى العالمي في تفعيل الوسطية كرؤية حضارية	حاوره بسام ناصر	71
قضايا وأفكار		80
أهمية برنامج تأهيل المعلمين قبل الخدمة في الأردن	د. فرحان محمد سعيد الياصجين	**81**
المثقف العضوي في المجتمعات العربية: من الفكرة إلى المعاناة... ومن المعرفة إلى الفعل	خالد عبد الهادي	87
عالم الكتب		**94**
* الوسطية في القرآن الكريم * القرآن وصناعة الدهشة * الخطايا الأربع في تطبيقات المنهج الإيماني	إعداد: نجوى مصار سلطاني	95
قراءة في كتاب "الزلزال" لأحمد داوود أوغلو	م. مروان الفاعوري	101
مدارات ونوافذ أدبية		104
الدكتور محمود إبراهيم سيف: سيرة العقل والضمير	سمير اليوسف	**105**
سلمى وليلى في الشعر الصوفي: حين يصبح الرمز برزخاً لشهود الحق	د. عبد الله الكيلاني	**113**
شعر: توبة ودعاء	صالح البوريني	**115**
فعاليات المنتدى		**116**

ولنا كلمة:

سايكس بيكو جديدة وانعكاساتها على المنطقة

المهندس مروان الفاعوري
الأمين العام للمنتدى العالمي للوسطية

تمر منطقتنا اليوم بمرحلة تاريخية دقيقة، تتقاطع فيها المشاريع الدولية والإقليمية، وتتصارع فيها الرؤى والمصالح على نحو غير مسبوق منذ نهاية الحرب العالمية الأولى. وما نشهده من أحداث متسارعة ليس مجرد أزمات متفرقة، بل هو جزء من عملية إعادة تشكيل كبرى للنظام الإقليمي في الشرق الأوسط، في ظل صراع الإرادات الدولية وتنامي مشاريع الهيمنة التي تسعى إلى إعادة هندسة المنطقة سياسياً وثقافياً وأمنياً.

وفي قلب هذه التحولات يبرز المشروع الصهيوني الذي لم يخفِ منذ نشأته طموحه إلى إعادة صياغة الجغرافيا السياسية للمنطقة بما يخدم رؤيته الأيديولوجية والاستراتيجية. فقد قامت الحركة الصهيونية منذ بداياتها على مزيجٍ معقد من الطموحات الاستعمارية والأساطير الدينية، حيث جرى توظيف بعض التأويلات التلمودية، والخرافات الميثولوجية لإضفاء بعدٍ "مقدس" على مشروع سياسي توسعي. وفي هذا السياق، جرى الحديث في الأدبيات الصهيونية المتطرفة عن ما يسمى بمعركة "هرمجدون"، باعتبارها لحظة فاصلة في صراع كوني مزعوم يسبق إقامة الهيمنة الكاملة في المنطقة.

هذه الرؤية الأيديولوجية لم تبقَ مجرد خطابٍ ديني أو أسطوري، بل تحولت في بعض الدوائر السياسية إلى عنصرٍ من عناصر التفكير الاستراتيجي الذي يسعى إلى تفكيك البنية السياسية والاجتماعية للدول المحيطة بفلسطين المحتلة، وإعادة تركيبها وفق خرائط جديدة تخدم أمن الكيان الصهيوني وتضمن تفوقه الدائم. وهنا تتقاطع هذه الرؤية مع مشاريع دولية أوسع تسعى إلى إعادة رسم خرائط المنطقة، على نحو

يعيد إلى الأذهان اتفاقية سايكس–بيكو التي قسمت المشرق العربي قبل أكثر من قرن، وكأننا اليوم أمام نسخة جديدة من تلك الاتفاقية ولكن بأدوات أكثر تعقيداً وتأثيراً.

إن الحديث المتزايد في مراكز الدراسات الاستراتيجية عن "الشرق الأوسط الجديد" أو "إعادة تشكيل المنطقة" لا يمكن فصله عن مسار طويل من محاولات تفكيك الدول وإضعافها عبر إشعال النزاعات الداخلية وإثارة الانقسامات المذهبية والعرقية. وقد أثبتت التجارب في عدد من الدول أن أخطر ما يمكن أن تواجهه المجتمعات هو تحويل التنوع الطبيعي فيها إلى صراعات طائفية مدمرة تمزق النسيج الوطني وتفتح الباب أمام التدخلات الخارجية.

وفي هذا السياق تأتي التطورات الأخيرة المرتبطة بالتصعيد بين الولايات المتحدة وإسرائيل من جهة وإيران من جهة أخرى، والتي بلغت مستوى غير مسبوق من التوتر، لتضيف بعداً جديداً إلى حالة الاضطراب الإقليمي. فالعدوان الأمريكي الصهيوني على إيران، وما يحمله من مخاطر توسع الصراع، لا يمثل مجرد مواجهة عسكرية بين أطراف متصارعة، بل يحمل في طياته احتمالات خطيرة لجر المنطقة بأكملها إلى دوامة من عدم الاستقرار.

غير أن الحقيقة المؤلمة التي ينبغي الاعتراف بها بوضوح هي أن الخاسر الأكبر في أي صراع إقليمي واسع لن يكون طرفاً بعينه بقدر ما ستكون الدول العربية والإسلامية وشعوبها هي التي تدفع الثمن الأكبر. فالحروب في منطقتنا لم تعد مجرد مواجهات عسكرية محدودة، بل أصبحت حروباً مركبة تستنزف الموارد الاقتصادية وتفكك المجتمعات وتفتح الباب أمام مشاريع الهيمنة الخارجية.

ومن المفارقات التاريخية أن إيران نفسها، التي تقف اليوم في مواجهة ضغوط دولية وإقليمية متزايدة، تجد نفسها أيضاً أمام نتائج السياسات التي انتهجتها خلال العقود الماضية في عدد من الدول العربية والإسلامية. فقد ساهمت السياسات التي قامت على توظيف الانقسامات الطائفية في إذكاء صراعات مريرة في دول مثل العراق وسوريا ولبنان واليمن وأفغانستان، وهي صراعات لم تؤدِّ إلا إلى تعميق الجراح داخل المجتمعات الإسلامية وإضعاف قدرتها على مواجهة التحديات الكبرى التي تهدد مستقبلها.

لقد أثبتت التجربة أن إشعال النزاعات المذهبية قد يمنح بعض الأطراف مكاسب سياسية مؤقتة، لكنه في النهاية يفتح أبواب الفوضى التي لا يمكن السيطرة عليها. فالنار التي تُشعل في بيت الجار سرعان ما تمتد لتصل إلى بيوت الجميع، والمنطقة بأكملها أصبحت اليوم تدفع ثمن عقود من السياسات التي اعتمدت على منطق الصراع بدل منطق التعاون والتكامل.

ومن هنا فإن مسؤولية النخب الفكرية والسياسية في العالم العربي والإسلامي تزداد أهمية في هذه المرحلة الدقيقة، فالمطلوب ليس فقط قراءة الأحداث الجارية، بل العمل على صياغة رؤية استراتيجية قادرة على حماية المجتمعات من الانزلاق إلى مزيد من الصراعات والانقسامات. إن المشروع الحقيقي الذي تحتاجه الأمة اليوم ليس مشروع صراعٍ طائفي أو تنافسٍ جيوسياسي ضيق، بل مشروع حضاري يعيد الاعتبار لقيم العدل والتعاون والتكامل بين شعوب المنطقة.

وهنا يبرز دور الفكر الوسطي الذي يقوم على رفض التطرف بكل أشكاله، سواء كان تطرفاً دينياً أو سياسياً أو قومياً. فالوسطية ليست مجرد موقف أخلاقي، بل هي رؤية حضارية تسعى إلى بناء التوازن في العلاقات بين الدول والشعوب، وتعمل على تعزيز ثقافة الحوار والتفاهم بدلاً من ثقافة الصدام.

إن المنطقة العربية والإسلامية تمتلك من الإمكانات البشرية والحضارية ما يؤهلها لتكون قوة فاعلة في النظام الدولي، لكنها لن تستطيع تحقيق ذلك ما لم تنجح في تجاوز الانقسامات الداخلية وتبني مشروعاً مشتركاً يقوم على التعاون والتكامل. كما أن مواجهة المشاريع التي تسعى إلى تفكيك المنطقة وإعادة رسم خرائطها لا يمكن أن تتم عبر ردود الفعل العاطفية، بل تحتاج إلى وعي استراتيجي عميق وإلى إرادة سياسية جامعة.

إن مجلة الوسطية، وهي تواصل رسالتها الفكرية والثقافية، تؤكد أن الطريق إلى مستقبل آمن ومستقر يمر عبر إعادة الاعتبار لقيم العقل والحكمة والحوار، والتمسك بالقانون الدولي، والعمل على حل النزاعات بالطرق السلمية التي تحفظ الدماء وتصون كرامة الشعوب. فالحروب لم تجلب للمنطقة سوى مزيد من الدمار، بينما يبقى الحوار والتفاهم والتعاون الإقليمي الطريق الأكثر واقعية لبناء مستقبل أفضل للأجيال القادمة.

من أعلام الوسطية

ملف العدد

- الشيخ عبد الرَّحمان شيبان: فارس القلم وغارس الهمم وحارس القيم
- الشيخ عبد الرَّحمان شيبان والمرجعيّة الدينيّة
- المرأة في فكر الشيخ شيبان
- رجل اصطبغ بصبغة الله.. فأصبغ بها أجيالا من أمته

- قراءات غائية في «رسالتي إلى الأمة» للدكتور زغلول النجار

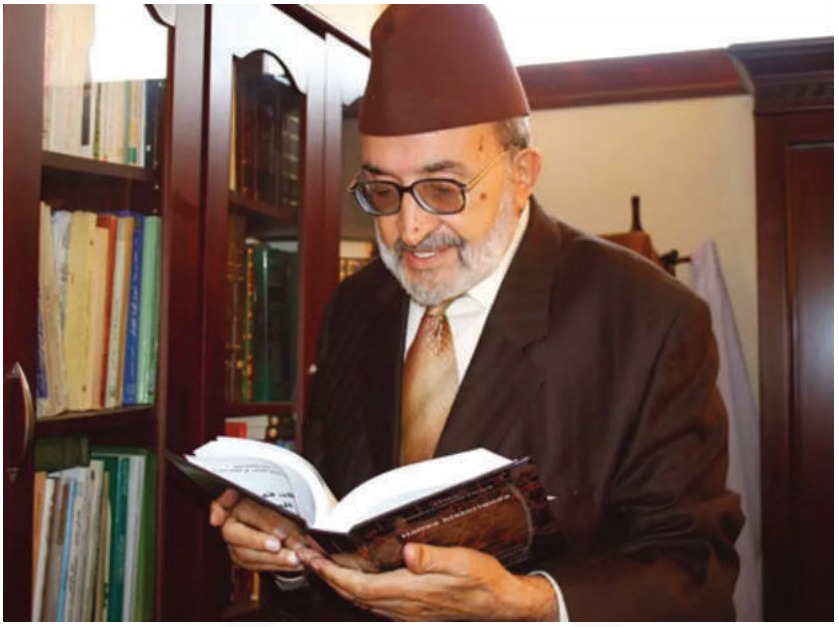

الشيخ عبد الرَّحمان شيبان: فارس القلم وغارس الهمم وحارس القيم

د. أبوجرة سطاني
رئيس المنتدى العالمي للوسطية

«عاش ٩٣ عاما؛ قضى منها ربع قرن في طلب العلم بين الجهادين الأكبر والأصغر، وبقية عمره سخَّره في خدمة الإسلام واللغة العربية من فجر الاستقلال عام ١٩٦٢ إلى يوم رحيله عام ٢٠١١، وما عرفته الساحات المحلية والإقليمية والعالمية سوى منافح عن عقيدة الأمة. مدافع عن تاريخها بما حباه الله به من بسطة في العلم والجسم».

■ هو الشيخ عبد الرَّحمان شيبان رحمه الله (آخر حبة في عنقود الإمام عبد الحميد بن باديس)[1]. ولد يوم ١٨ فبراير ١٩١٨ ميلادية في قرية صغيرة من قرى الجزائر تسمى «الشُّرفة» تابعة لدائرة مشجدالة محافظة البويرة. وتوفي يوم الجمعة ١٢ رمضان ١٤٤٢ هجرية الموافق ١٢ أغسطس سنة ٢٠١١ ميلادية عن عمر ناهز ٩٣ عاما؛ ونظمت له جنازته مهيبة في مسقط رأسه؛ كما أوصى؛ فكان يوما مشهودا شُدت الرحال – منذ فجره الباكر – إلى مقبرة الشرفة من جميع أنحاء الوطن لوداع فارس القلم وغارس الهمم وحارس القيم.. للاطمئنان على توريث منهجه للذين سيرثون منهجه وللذي سيخلفه على رأس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين؛ أم الجمعيات في الجزائر، كما كان يسميها[2]،

ولتأكيد معاني الوفاء ولحفظ غراس الشيخ الرئيس عبد الحميد بن باديس وتسليم الأمانة لمن هو أهل لها.

■ ودع دنيانا وهو في قمة العطاء تنظيما ووعظا وتأليفا وتأسيسا ونسج علاقات... فقد شغل – في مسار حياته – مواقع مرموقة في الدعوة والدولة؛ منها رئاسة جمعية العلماء. وعضوية مجمع الفقه الإسلامي. ورئيس لجنة المناهج التربوية. والمفتش العام للتربية، ووزير الشؤون الدينية والأوقاف. وموفد الجزائر إلى عدة مؤسسات إقليمية ودولية..

■ ولتعريف قراء «الوسطية» بشخصه وسيرته وبعض آثاره نقدم خلاصة لمساره النضالي والعلمي والدعوي ... في هذه العناوين المختصرة، لأن تاريخه زاخر بالأحداث منذ مولده إلى وفاته رحمه الله.

■ نشأ في بيت محافظ، فحفظ القرآن الكريم وشيئا من السنة المطهرة ومتون اللغة... في سن مبكرة مما أتاح له فرصة الالتحاق بمدارس جمعية العلماء والعب منها؛ وكان من حظه التتلمذ ع الشيخ باديس وعن الشيخين: البشير الإبراهيمي والعربي التبسي. ولنبوغه المبكر أوفد إلى (جامعة الزيتونة) بتونس لاستكمال تحصيله فنال شهادة التطويع والعالَمية بين سنوات ١٩٣٨ – ١٩٤٨، وكان وقتها رئيس جمعية الطلبة الزيتونيين. وفي سن مبكرة كان منافحا عن القضية الفلسطينية والقضايا العادلة في العالم.

■ ليعود بعد التخرج عالما إلى وطنه الجزائر فيعين من طرف الشيخ البشير الإبراهيمي (رئيس جمعية العلماء وقتذاك؛ بعد وفاة مؤسسها الشيخ ابن باديس) ، يعين أستاذا للبلاغة والأدب العربي في معهد (كلية ابن باديس بقسنطينة) ، فتخرج على بديه العشرات ممن كانوا على خط الأصالة والقيم. وقد كان قلما مرموقا في جريدة «البصائر» لسان حال جمعية العلماء إلى اليوم. [٣].

■ لما اندلعت ثورة الحرير المباركة سنة ١٩٥٤، حُلت الجمعية وغلّقت مدارسها ومعاهدها وكلياتها... فتفرق من كان فيها؛ فانخرط بعض المنتسبين إليها في صفوف الثورة مقاتلين وبعضهم سلك طريق الجهاد المدني. أما الشيخ شيبان فكُلف برئاسة لجنة الإعلام؛ وأسند إليه قلم تحرير جريدة «المقاومة» ورئاسة تحرير مجلة «الشباب الجزائري»، وكان مستشار رئيس بعثة الوفد الجزائري إلى الشقيقة ليبيا عام ١٩٦٠ التي مهدت – مع جهود أخرى – لانعقاد (مؤتمر طرابلس عام ١٩٦٢). فلما منّ الله عز وجل على الجزائر بالاستقلال كان ضمن تشكيلة المجلس الوطني التأسيسي (البرلمان)، ونائبا لرئيس جمعة العلماء المسلمين التي حاول

رئيسها الشيخ الإبراهيمي رحمه الله بعثها قبل أن يصطدم بالرئيس أحمد بن بله رحمه الله بسبب مقال ناري نشره يوم ١٦ أبريل ١٩٦٤،[٤] انتقد فيه بشدة الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تدحرجت إليها الدولة...!! واستنكر طبيعة الحكم وما آلت إليه أوضاع البلد.

بعدها عُين الشيخ شيبان عضوا في لجنة إعداد المناهج التربوية للمدارس الجزائرية، من الابتدائي إلى الثانوية العامة، تحت إشراف د. أحمد طالب الإبراهيمي (وزير التربية والتعليم؛ نجل الشيخ البشير الإبراهيمي) فكان له الفضل الأوفر في تحرير الكتاب المدرسي من «الفرنسة» والتغريب والعزو الثقافي. واستمر في مقاومة التيار التغريبي والشيوعي إلى أن ضعف بتفكك الإتحاد السوفياتي عام ١٩٨٩.

من حسنات الشيخ شيبان أنه لعب دورا رائدا في إدخال اللغة العربية إلى (هيئة اليونيسكو) كلغة عالمية خامسة إلى جنب اللغات الاربع التي كانت معتمدة رسميا وهي: الإنجليزية، والفرنسية، والروسية، والإسبانية. بعد معركة شرشة تولى كبرها الأمريكان والإنجليز واليهود..[٥]، ولكن القرار تم اعتماده.

■ عرف الرأي العام قيمته يوم استلم مفاتيح وزارة الشؤون الدينية سنة ١٩٨٠، واستمر فيها ست سنوات إلى غاية سنة ١٩٨٦، أنجز فيها الكثير: فقد نقل الملتقيات السنوية العالمية للفكر الإسلامي من التاريخ والتراث إلى الواقع العلمي والاجتماعي؛ استهلها بطبعة عميقة حول القرآن الكريم. ثم تلاها ملتقى دولي حول السنة الشريفة. وتلاهما ملتقى حول الاجتهاد، فرابع حول الصحوة الإسلامية، فخامس حول الإسلام والغزو الثقافي. وختامها مسك بالإسلام والعلوم الإنسانية. ولم يتخلف عن خوض معارك شريفة على جبهات متعددة داخلية وخارجية كلها تصب في إعادة التأسيس للمرجعية الإسلامية، وإحياء قضايا الأمة؛ منها: ترسيم الإسلام في الدستور «دين الدولة». واللغة العربية «اللغة الرسمية»، وتأسيس فضاءات للدعوة وإحياء رسالة المسجد والمجلس الإسلامي الأعلى وكلية علوم الدين والجامعة الإسلامية.. والقضية الفلسطينية.. الخ.

■ وهبه الله قدرة عجيبة على تأليف القلوب ونسج العلاقات والتواصل مع جميع فئات المجتمع... واستفاد من وجود الشيخ محمد الغزالي رحمه الله في الجزائر، بين سنوات ١٩٨٤ إلى ١٩٨٩، رئيسا للمجلس العلمي بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية (قسنطينة) فكان من وراء حصة «حديث الإثنين» التي يبثها التليفزيون الرسمي كل أسبوع. وكان وراء طبع آثار شيخه ابن

باديس، في التفسير: (مجالس التذكير من كلام اللطيف الخبير). وفي شرح موطأ الإمام مالك: (مجالس التذكير من حديث البشير النذير). واجتهد في جمع وثائق جمعية العلماء وطبعها. وسنّ سنة قراءة صحيح البخاري في كثير من مساجد الجمهورية خلال شهر رمضان المعظم. وبعث جمعية العلماء من تحت الرميم. وترأس لسان حالها مجلة «البصائر». ولم يتوقف عن تقديم المحاضرات والندوات والدروس في التفسير والحديث والسيرة والفقه والتاريخ الإسلامي، إلى أن أقعده المرض، قبيل رحيله. وكان من أبرز كتاباته سلسلة «حقائق وأباطيل» فند فيها ما يروجه أعداء الإسلام حول قضايا كثيرة.

■ انتقل إلى رحمة الله تعالى وترك سيرة طيبة في الجهادين. وآثارا كثيرة من كتب منشورة ومخطوطات في الفكر والذكر. نشر في حياته عددا معتبرا. منها: الاسلام شريعة الجهاد والاجتهاد (صدر سنة ١٩٥٨). وفي السنة الموالية صدر له كتاب: المعهد ومستقبل الأدب الجزائري. وقبلهما وفي خضم ثورة التحرير أصدر كتابا تحت عنوان (الجزائر للجزائريين) تلاه كتاب (ابن باديس بطل الجزائر) تلاهما كتاب (القضية الجزائرية قضية حياة أو موت). وتوالى العطاء بعد الاستقلال فجاوز الثلاثين مؤلفا عدا المقالات والدراسات والخطب. فقد وهبه الله فصاحة وبيانا إلى جانب جهورية الصوت..

■ حضرت جنازته فزاد يقيني بأن العلماء العاملين لا يموتون يوم يوارون التراب؛ بل تتحول جنازتهم إلى شهادة على من كان لا يعرف قدرهم حتى غابوا وتركوا وراءهم جيشا من الأنصار. وكذلك كان حال الشيخ عبد الرحمان شيبان رحمه الله.

رحمك الله يا شيخ شيبان فقد كانت لك يد بيضاء على أمتك أفرادا وجماعات وجمعيات ودولا، وجمعت بحق بين رجل الدولة ورجل الدعوة. وكنت رجلا تعرف مقامات الرجال وتنزل كل رجل منزلته اللائقة به.

(١) مازال منهم على قيد الحياة بعض تلامذة ابن باديس. ولكنهم ليسوا بمستوى علم الشيخ شيبان ولا جرأته ولا قدرته على التأثير..
(٢) تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يوم ٥ مايو ١٩٣١ في نادي الترقي بعاصمة الجزائر برئاسة الشيخ العلامة ابن باديس رحمه الله.
(٣) هي لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين صدر العدد الأول منها يوم الجمعة الفاتح من شوال ١٣٥٤ هجرية. الموافق ٢٧. ١٢. ١٩٣٥ ميلادي. ومرت بأربعة أطوار؛ كانت تحتجب تحت الضغط الاستعماري وتستأنف الصدور. إلى أن انتظمت عام ٢٠٠٠.
(٤) بمناسبة الذكرى ٢٤ لرحيل الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله.
(٥) صوت لصالح القرار ٥٠ عضوا. مقابل ١١ دولة صوتت ضد القرار. و١٠ امتنعت.

الشَّيخ عبد الرَّحمان شيبان والمرجعية الدِّينية.

د. ناصر حمدادوش
برلماني جزائري سابق

للعلماء مكانةٌ مركزيةٌ في حياة الأمَّة، فهم الأمناء على دينها وقِيَمها ومرجعيتها، وقد تبوَّؤوا أشرف الوظائف حساسيةً، فهم «ورثة الأنبياء» وحملة «ميراث النُّبوة» كما نطق به الفَمُ الشَّريف، في تقرير هذه الحقيقة النَّصِّية، والتي يجب أن تتأكَّد حقيقةً واقعية، فقال: «إِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ»[1]، فهم النُّجوم الذين يُهتدى بهم في ظلمات الإنسانية الحالكة.

ويُعدُّ الشَّيخ «عبد الرَّحمان شيبان» رحمه الله (١٩١٨م – ٢٠١١م) من العلماء العاملين، ومن الدُّعاة المصلحين، ومن فرسان الصَّحوة البارزين، الذين اجتهدوا في خدمة دينهم، وأخلصوا جُهدهم في سبيل النُّهوض بوطنهم، وأثبتوا جهادهم في الوقوف على ثغرة القيم في أمَّتهم، من باب المسؤولية الشَّرعية في الحفاظ على هويَّتهم.

وتتمثَّل المرجعية الإسلامية عند الشَّيخ شيبان في الإسلام بمصدريه القرآن الكريم والسُّنة النَّبوية الصَّحيحة، وفق منهج الوسطية والاعتدال، فهو المادة الخام لأيِّ نهضةٍ حضاريةٍ للأمَّة، لأنَّ الفكرة الدِّينية هي سِرُّ انبعاث المجد في المجتمعات عبر التاريخ، كما قال «مالك بن نبي»(١٩٠٥م – ١٩٧٣م) في كتابه: «شروط النَّهضة»، تحت عنوان: «أثرُ الفكرة الدِّينية في تكوين الحضارة»: «.. كيف يُتاح للفكرة الدِّينية أنْ تَبْنِي الإنسان حتى يقوم بدوره في بناء الحضارة..»[2]، فهي أهمُّ عنصرٍ أساسيٍّ في أيِّ إصلاحٍ أو نهضةٍ، إذ يرى ألاَّ نهضة بدون دِين، فيقول: «الحضارة لا تنبعث – كما هو ملاحَظ – إلا بالعقيدة الدِّينية، وينبغي أن نبحث في حضارةٍ من الحضارات عن أصلها الدِّيني الذي بعثَها..»[3]، ولذلك تتمثَّل هذه المرجعية في تلك الخلفية الدِّينية السَّابقة لأيِّ مجتمع، والتي يحتكم إليها للفصل في أمور دينه ودنياه، فهي سلطةٌ معنويةٌ موجِّهة للخيارات الدِّينية: الفقهية والفكرية التي تحكم الفرد والمجتمع والدَّولة.

ولقد كان هناك قلقٌ حضاريٌّ عند الشَّيخ شيبان، بسبب ما تعرَّضت له الجزائر من احتلالٍ صليبيٍّ، استهدف هوية المجتمع والدولة، فيتحدَّث الشَّيخ «محمد البشير الإبراهيمي» عن الأهداف الحقيقية من وراء الاحتلال الفرنسي للجزائر، فيقول: «احتلَّت فرنسا الجزائر المسلمة العربية احتلالاً مدبَّرًا مُبيَّتًا، على برنامجٍ واسعٍ، يدور كلُّه على محور واحد، ويرمي إلى غايةٍ واحدة، وهي: محو الإسلام من الجزائر حتى تصفو له، فتنسى دينها ولغتها وتاريخها وأمجادها وعروبتها وشرقيتها، وتصبح فرنسيةَ الهوى والعاطفة والفكر واللِّسان والاتجاه..»[٤].

ولذلك مثَّل الإسلامُ عنوانَ «المرجعية الدِّينية» عند الشَّيخ شيبان، باعتباره ركيزةً أساسيةً في الحفاظ على وَحدة الأمَّة، وعلى أساساتها المتينة، كإسمنتٍ مسلَّحٍ لهويَّتها من الذَّوبان في الآخر، فهو رمز حصانتها من الغزو الفكري والاختراق الثقافي والاستيلاب الحضاري وتهديد الأمن الدِّيني، وكان يرى في الزَّوايا والكتاتيب والمساجد أداةً لترسيخ تلك المرجعية، فكان حريصًا على مكانتها الدَّعوية ورسالتها الإصلاحية، وخاصَّة وهو وزيرٌ للشُّؤون الدِّينية، فيقول عن هذا المحراب الخالد للمرجعية الدِّينية: «إنَّ للمسجد في الإسلام تاريخًا عظيمًا، فهو المنارة الهادية إلى الخير في جميع المجالات، يُغذِّي العقيدة ويغرس الفضيلة، ويدعو إلى الأخوَّة والوَحدة التي بها تكون المناعة والعِزَّة والكرامة»[٥].

فقد اعتبر الشَّيخ شيبان «المرجعية الدينية» عاملاً مركزيًّا في تحقيق الأمن الفكري والانسجام المجتمعي، فهي حتميةٌ ضروريةٌ لمواجهة التحدِّيات الفكرية والتهديدات الثقافية والمخاطر الدِّينية، تُشبع الاحتياج المعرفي، فتساهم في ضمان وَحدة الفهم والتصوُّر الجمعي للأمَّة، فهي نسقٌ معرفيٌّ يباشر بها الفرد والمجتمع فهمه للدِّين وتطبيقه له، وأنَّ أهمَّ ركنيْن أساسيْن لهذه «المرجعية» هما: المذهب الفقهي والمذهب العَقَدي.

ومع أنَّ وَحدة المرجعية لا تعني بالضَّرورةِ الانغلاق وعدم الانفتاح على الآخر، إلاَّ أنَّ تعدَّد المرجعيات الدِّينية عنده قد يشكِّل خطرًا وَحدة المجتمع والدَّولة.

ولقد كان «شيبان» على خُطى رائد النَّهضة الإصلاحية في الجزائر العلامة «عبد الحميد بن باديس»، وكلاهما أمازيغيٌّ حرٌّ، فيقول عن طبيعة الهويَّة الجزائرية: «أنَّ الجزائر بالعربية والإسلام، ومَن أراد الجزائر بدون عربيةٍ ولا إسلام، فنقول له: إنَّك لست جزائريًّا. بالإسلام اهتدينا، وبه قاومنا، وبه جاهدنا، وبه انتصرنا، وبه نَبْنِي حاضرنا ونَبْنِي مستقبلنا.. إنَّ العربية والإسلام هما أساس نهضتنا..»[٦].

وقد تعدَّدت إسهامات الشَّيخ شيبان في الحفاظ على المرجعيَّة الدِّينية، وذلك على مستوياتٍ عدَّة، منها:

١- على مستوى العمل الجماعي المؤسَّسي للإسلام:

فتؤكد الدِّراسات والبحوث التاريخيَّة العلميَّة والموضوعيَّة أنَّ لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين دورٌ مركزيٌّ في الحفاظ على المرجعية الدِّينية من خطر الاحتلال الذي استهدف هوية الأمَّة، فقد أطَّرت الشَّعب الجزائري في مشروع التحرُّر الحضاري، فهي تُعدُّ رائدة الحصانة الثَّقافية، ومدرسة الإصلاح والتغيير الدِّيني، في ظلِّ استعمارٍ صليبيٍّ استيطانيٍّ وهمجي، مارس كلَّ أنواع المسخ لمعالم الهويَّة الدِّينية، والحرب على الرُّموز التاريخيَّة للشَّعب الجزائري طيلة ١٣٢ سنة.

فتُعتبر «الجمعية» بأصولها ومبادئها وغاياتها ووسائل جهادها العلمي والحضاري، إحدى أهمِّ أدوات الاجتهاد الجماعي المؤسَّسي لعلماء الجزائر في الحفاظ على «المرجعية الدِّينية»، وكان الشَّيخ «شيبان» أحد رموزها التاريخية، فقد التحق بالجمعية سنة ١٩٤٧م، فكان عضوًا قياديًّا في مجلس إدارتها، وأستاذًا محاضِرًا في معاهدها، ثم أحد أعمدة إعادة بعثها سنة ١٩٩١م، فكان النَّائب الأوَّل لرئيسها الشَّيخ «أحمد حماني» رحمه الله، ثم رئيسًا لها عام ١٩٩٩م إلى غاية وفاته سنة ٢٠١١م، ومن الأعمال الجليلة التي اضطلع بها هو بعث تراث الجمعية، فقام بإعادة إصدار جريدة «البصائر» وداوم على الكتابة فيها، وطبع آثار الإمام «عبد الحميد بن باديس»، وفي طليعتها: «مجالس التَّذكير من كلام الحكيم الخبير»، و«مجالس التَّذكير من حديث البشير النَّذير».

٢- على مستوى انخراطه في الثورة التحريرية:

فقد شكَّل الإسلام رافعةً رئيسيةً في اندلاع الثورة التحريرية المباركة في الجزائر، وكان له تأثيرٌ كبيرٌ في عقيدة المجاهدين، وفي مضمون الخطاب السِّياسي للثورة، وكان له الدور الأبرز في تعبئة الشَّعب الجزائري لصالحها والالتفاف حولها، وهو ما يعترف به الأرشيف الفرنسي نفسُه، فهذا رئيس الحكومة الفرنسية آنذاك (غي موليه/ guy mollet) يقول أمام المجلس الفرنسي: «إنَّ ثوَّار الجزائر إنَّما تدفعهم روحٌ دينيةٌ إسلامية، جاهدوا من أجل انتصار الإسلام وإقامة دولته، وإلاَّ فلماذا يهتفون حين تشتدُّ المعارك بينهم وبين جنودنا بذلك الشِّعار الإسلامي: الله أكبر» ، وكان بيان أول نوفمبر هو الوثيقة التأسيسية الأسمى للدولة الجزائرية، والذي أكَّد على هوية الدَّولة وفق المرجعيَّة الدِّينيَّة في إطار المبادئ الإسلاميَّة، وهو ما يعني أنَّ الثَّورة اتخذت من الإسلام مرجعيةً لها

في الهويَّة، ومصدرًا أساسيًّا لها في التشريع.

وكان انخراط الشَّيخ شيبان في «الثورة التحريرية» ضمن الجهاد بالكلمة في صناعة الوعي بحقيقة الصِّراع الدِّيني على الجزائر، فكان من المجاهدين ضمن «المنظَّمة المدنية» لجبهة التحرير الوطني، فالتحق بالثورة في ميدان الإعلام التابع لها، مشاركًا في تحرير جريدة «المقاومة» لسان حال «جبهة التحرير الوطني» و«جيش التحرير الوطني»، فكتب فيها عدَّة مقالاتٍ تحت ركن «صفحاتٌ خالدة من الإسلام»، يُسقط فيها ماضي الأمَّة الجهادي على حاضرها الثوري التحرُّري، وهي تخوض معركة الحرِّية والاستقلال من الاستعمار الصَّليبي المعاصر.

٣- على مستوى مناصبه السِّياسية كرجلِ دولة:

فقد انتُخب مباشرةً بعد الاستقلال سنة ١٩٦٢م عضوًا في المجلس الوطني التأسيسي، ووجد نفسه يخوض معركةً حسَّاسة وخطيرةً من أجل المرجعيَّة الدِّينية لهذه الدَّولة الحديثة، فقد جمع نخبةً من علماء الجمعية لإحباط تلك الدَّعوة الخبيثة لعَلمنة الدَّولة، وجَعْل «اللَّائكية» أساسًا للدستور الجزائري، فكان من أعضاء اللجنة المكلَّفة بإعداد الدستور، حيث ساهم بفاعليةٍ مع مجموعةٍ من النُّواب من أهل العلم والجهاد في جعل «الإسلام دين الدولة»، و«اللغة العربية هي اللُّغة الوطنية والرَّسمية»، خلافًا لتلك المحاولات المشبوهة من التيار التغريبي، الذي حاول جعل «الإسلام دين الشَّعب»، و«اللغة العربية لغة الشَّعب»، حتى لا يكونَا ضمن أركان المرجعية الدِّينية الرَّسمية للدَّولة الجزائرية.

٤- على مستوى مناصبه الدِّينية كرجلِ دعوة:

فمن المناصب التي عُيِّن فيها أنه كان مفتِّشًا عامًّا لِلُّغة والأدب العربي والتربية الإسلامية في مؤسَّسات التعليم الثانوي الرَّسمي، وساهم مع الشَّيخ محمد البشير الإبراهيمي – ضمن لجنةٍ وزارية – في دمج المعلِّمين والأساتذة الذين كانوا في التعليم العربي الإسلامي الحرِّ قبل الاستقلال، في سلك التعليم الرَّسمي بعده، كما تولَّى رئاسة اللجنة الوطنية المكلَّفة بالبحث التربوي والتأليف المدرسي للمرحلة الإعدادية والثانوية بوزارة التربية الوطنية، حيث أشرف على تأليف ٢٠ كتابًا مدرسيًّا بأبعاده الحضارية المتميِّزة.

ومن العوامل التي ساهمت في الحفاظ على المرجعية الدِّينية في الجزائر، وانفتاحها على المحيط العربي والإسلامي والإنساني: ملتقيات الفكر الإسلامي، في الفترة الممتدة من ١٩٦٨م إلى ١٩٩٠م، والتي كانت «وزارة التعليم الأصلي والشُّؤون الدِّينية» تُشرف عليها، فكانت تأخذ طابعًا رسميًّا، فتستقطب كبار العلماء والدُّعاة

والمفكِّرين في العالم، وكانت تتميَّز بمنسوبٍ عالٍ من الحرِّية في الرَّأي والفكر، و«كانت الجهات الرَّسمية تريد من خلال هذه الملتقيات الضَّخمة محو تلك الصُّورة عن الجزائر، المصبوغة بألوان «الإلحاد الاشتراكي» والفرنكفونية..»، «لقد انعقد أربعة وعشرون (٢٤) ملتقى، حاول الرَّسميون الجزائريون تجسير الهوَّة بين اختيارهم السِّياسي والاقتصادي، والانتماء الحضاري للشَّعب» ، وبعد تعيين الشَّيخ شيبان وزيرًا للشُّؤون الدِّينية في الفترة من ١٩٨٠م إلى ١٩٨٦م أشرف على تنظيم (٦) ملتقيات سنويَّة، وأعطى لها نَفَسًا جديدًا، منها: ملتقى القرآن الكريم، وملتقى السُّنة النَّبوية، وملتقى الاجتهاد، وملتقى الصَّحوة الإسلامية، وملتقى الإسلام والغزو الثقافي، وملتقى الإسلام والعلوم الإنسانية، وهي موضوعاتٌ كلُّها تصبُّ في خدمة المرجعية الدِّينية وأصولها في الشَّريعة الإسلامية.

كما ساهم مساهمةً فعَّالة في تأسيس معهد أصول الدِّين بجامعة الجزائر، وبذَلَ جُهودًا معتبرةً في افتتاح «جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية» بقسنطينة سنة ١٩٨٤م، وهو ما يندرج ضمن الحفاظ على المرجعية الدِّينية.

٥- على مستوى محراب الكلمة في الدِّفاع عن المرجعيَّة الدِّينيَّة:

فقد كان الشَّيخ شيبان من الأقلام اللاَّمعة في سماء الدِّفاع عن «المرجعية الدِّينية»، ومن الكُتَّاب المتميِّزين في محراب الاجتهاد العلمي والجهاد المعرفي، فقد انطلق في عالم الصَّحافة والكتابة من تونس وهو طالبٌ بها، فكان من باكورة ذلك تأسيس جريدة «الشُّعلة» سنة ١٩٤٩م، كما كتب في جريدة «البصائر» لسان حال «جمعية العلماء» عند عودته إلى الجزائر، وبعد الإفراج عنه من طرف الاحتلال الفرنسي سنة ١٩٥٦م عاد إلى تونس، ليواصل جهاده بالكلمة بتكليفٍ من «جبهة التحرير الوطني»، وذلك بالعمل في دائرة إعلام الثورة، فبرز قلمه الحادُّ في جريدة «المقاومة» لسان حالها، ثمَّ تولَّى رئاسة مجلة «الشَّاب الجزائري» سنة ١٩٦٠م، فكان قلمه سَهمًا لا يخطئ، وقد استشرفه الشَّهيد الأديب «أحمد رضا حوحو»(١٩١٠م – ١٩٥٦م) الأمين العام لمعهد «ابن باديس» (فرع جامعة الزَّيتونة بالجزائر)، وقد أضْفى عليه صفتي: «ديمقراطي الأفكار» و«أرستقراطي الشَّخصية»، فقال عنه: «لكنْ أدبُه يمثِّل الجانب الديمقراطي منه فقط. فالأستاذ شيبان: أديبٌ يمتاز بدقَّة الملاحظة، ورِقَّة الشُّعور، وتوقُّد الإحساس، ومن هنا تبدو لك أناقته في الأدب: في مطالعاته، في أسلوبه، في مناقشاته، كما تبدو أناقته في مَلْبَسه وهِنْدَامه» .

وقد جُمعت مقالاته خلال مسيرته الفكرية الحافلة في الصُّحف والمجلات التونسية والجزائرية في سِتَّة كُتبٍ، وهي: ٤٠ مقالاً في

كتاب «حقائق وأباطيل» للدفاع عن مشاركة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الثورة التحريرية، وكتاب «الأسرة المسلمة وتحدّيات العصر» في الدفاع عن المرجعية الإسلامية فيما يتعلق بالأسرة المسلمة، وقانون الأسرة والأحوال الشَّخصية، و٤٠ مقالاً في كتاب «الجزائر وفلسطين بين قوَّة الحقِّ وحقِّ القوَّة» للتعريف بالقضية الفلسطينية وجهادها والمؤامرات ضدَّها، و٤٥ مقالاً في كتاب «من هدي الإسلام» عن رسالة الإسلام وسماحة تعاليمه، وكتاب «سوانحٌ في الفكر والأدب والسِّياسة»، وكتاب «في موكب الثَّورة».

لقد جمع الشَّيخ شيبان بين صفتي العالم المثابر والمجاهد الثائر، ليطابق – بحقٍّ – بين القول والعمل في خدمة المرجعيَّة الدِّينيَّة، كما جمع بين صفتي رجل الدَّعوة الصَّادق ورجل الدَّولة النَّزيه، ليجمع – بصدقٍ – بين صِفات الدَّاعية الأنيق وصفات السِّياسي المحنك، ويعطي المَثَل في الجمع بين النِّضال الرَّسمي والكفاح الشَّعبي، فوقف حارسًا أمينًا على القيم الإسلامية، ونافح باقتدارٍ على أبعاد الهويَّة الدِّينية.

١ – رواه الإمام أبو داود في سُننه، والترمذي في جامعه، وابن ماجه في سُننه عن أبي الدرداء رضي الله عنه.
٢ – مالك بن نبي، شروط النهضة، ص ٦١.
٣ – مالك بن نبي، شروط النهضة، ص ٧٥.
٤ – انظر: أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ج ٥، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٧م، ص ٧٣، ٧٤.
٥ – انظر: عبد الرَّحمان شيبان، من هدي الإسلام، دار الخلدونية، القبة – الجزائر العاصمة، ص ٧٠.
٦ – من مداخلةٍ له، في تجمع جماهيري، تحت عنوان: اللغة العربية والتحديات المستقبلية.
٧ – انظر: البعد الديني في مفردات الثورة التحريرية. فاطمة طاهري، وعبد الكامل جويبة، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية – المسيلة، الجزائر، المجلد ١٣، العدد ٠١، سنة ٢٠٢٣م، ص ٥٠٤ – ٥٠٦.
٨ – انظر: شافية صدِّيق، ملتقيات الفكر الإسلامي بالجزائر.. استقطابٌ علميٌّ متميِّز، وتأصيلٌ واقعيٌّ للاجتهاد الجماعي (دراسة وصفية تاريخية)، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، كلية العلوم الإسلامية –جامعة الجزائر ٠١، السَّنة الثانية، العدد الثاني، (شوال ١٤٣١هـ/ ديسمبر ٢٠١٠م)، ص ٢٤.
٩ – المصدر السَّابق، ص ٢٥.
١٠ – مقال: في ذكرى الشيخ عبد الرحمان شيبان.. محطَّاتٌ مضيئةٌ في حياةٍ مجيدة، أ. عبد الحميد عبدوس، جريدة البصائر، لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، سنة ٢٠٢٠م، انظر: https://elbassair.dz/8070/

المرأة في فكر الشيخ شيبان

نجوى سلطاني

كاتبة وباحثة من الجزائر

لم تكن المرأة غائبة عن فكر الشيخ شيبان رحمه الله، منذ تولى وظيفة التدريس في معاهد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ومعهد الشيخ ابن باديس تحديدا؛ فقد دعا إلى رفع حجاب الجهل عن عقلها قبل رفع حجاب الستر عن وجهها؛ كما كان يردد. ولم يهمل في حركته الإصلاحية نصف المجتمع. بل رسم منهجا لرسالتها ووظيفتها في الأسرة والمجتمع والدولة يقوم على تعليمها جنبا إلى جنب مع أخيها الرجل، وتمكينها من تقديم جهدها في بناء الأسرة والمساهمة في نهضة الأمة على جميع الصعد.

وفي كل محطات تاريخه الحافل بالنضالات أولاها عناية خاصة، وكان يردد، في كثير من لقاءاته ومحاضراته وكتاباته، وحتى في خطبه المسجدية، أن الإسلام كرَّم المرأة التي كانت سلعة تُعرض في الأسواق ووسيلة للهو والمتعة والزينة.. فحرر عقلها وضميرها وجعل النساء شقائق الرجال من منطلق أن ألأصل البشري واحد، وهما شقيقان في التكاليف والحقوق والواجبات. وقد جعلها الإسلام أساس بناء الأسرة. وأساس نهضة المجتمع. ومنطلقا لقيام الحضارات.. فالأم مدرسة إذا صلحت صلح المجتمع كله، وإذا فسدت ضاع جيل كامل. وطريق صلاحها هو التعليم الذي هو واجب شرعي وضرورة حضارية للمرأة والرجل معا؛ لأن الأمة تربي أبناءها في حجر الأمهات ولا تضطلع بهذه الرسالة النبيلة في تربية الأجيال سوى امرأة تحررت من العبودية وعرفت ربها فأخذت عنه رسالتها النبيلة بعيدا عن تقليد الغرب، تحررت تحريرا شرعيا منضبطا يصون عفتها ويحفظ كرامتها ويعرّفها بحقوقها وواجباتها.

والأسرة هي الخلية الأساسية للطفل وهي الحصن المنيع للمجتمع، إذا انهار هذا الحصن انهارت القيم. وسقط المجتمع كله في براثن

الرذيلة. فلا نهضة لأمة تهمّش دور الأم في التربية وفي بناء الأجيال. والمرأة المثقفة ثقافة إسلامية تملك هذه المؤهلات القيادية، وتستطيع النهوض برسالة المجتمع دون أن تتخلى عن حيائها وقيمها وثوابت دينها الحنيف. ودون أن يخطف بصرها بريق الاستعمار الثقافي، الذي هو أخطر من الاستعمار العسكري لأنه يستهدف عقل المرأة وعقول الناشئة وتدمير الأسرة..

فصلاح المجتمع يبدأ من البيت، والبيت عماده المرأة. ومن أراد إصلاح الأمة فليبدأ بتربية المرأة وتعليمها. وهذا معناه:

- أن المرأة أساس بناء المجتمع.
- والتعليم والتربية هما محورا كل إصلاح.
- وأن الحفاظ على القيم هو السبيل لنهضة الأمة التي لا يمكنها الطيران بجناح واحد هو جناح الذكور. وإنما يتم الطيران بجناحين: جناح المرأة وجناح الرجل بانسجام وتكامل في الوظائف وليس تنافسا على التساوي وإلغاء الجنس؛ فقد خلق الله الذكور والإناث وأسند لكل فريق ما يتناسب مع طبيعة خلقه؛ فدور المرأة في بناء المجتمع محوري وفاعل ومؤثر، ولا يمكن تصور وجود مجتمع بغير نساء؛ فالمرأة في الإسلام ليست كائنًا مهمشًا، بل هي أساس الأسرة ومصدر التربية، وإذا صلحت المرأة صلح المجتمع كله، لأن الأم هي المدرسة الأولى التي يتخرج في كنفها الأبناء. إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق.. وتعليمها وتثقيفها يكسب الأمة قوة ومناعة. ذلك أن الأمة لا يمكن أن تتقدم خطوة نحو الأمام بنصف متعلم ونصف جاهل.

وكان رحمه الله يربط دائمًا بين تعليم المرأة وتربية الأجيال. فالمرأة أساس بناء أي مجتمع لأنها غارسةُ قيمه وحارسةُ أخلاقه.. وإصلاح أي مجتمع يبدأ بإصلاح الأسرة، والمرأة عماد البيت.

- فمن الضروري تعليم البنات.
- ومن الضروري نشر الثقافة الإسلامية في أوساطهن.
- ومن الضروري إعداد الأم الواعية القادرة على تربية جيل صالح إيجابي. وكل جهل لدى المرأة ينعكس سلبًا على المجتمع كله مهما كانت قوة الرجل.

فالإسلام منح المرأة حق التعليم. وحق الكرامة الإنسانية. وحق المشاركة في بناء المجتمع.. ولم يظلمها شيئا. بل نهاها – كما نهى أخاها الرجل – عن التقليد الأعمى، وحذرها من عواقب التخلي عن القيم الإسلامية. وحثها على الحفاظ على أخلاقها وكرامتها وهويتها.. ودعاها إلى الاستفادة من التقدم دون فقدان خصائصها. وهكذا تضمن التوازن بين التقدم والبناء وبين

الحفاظ على القيم والمبادئ والثوابت ومكارم الأخلاق.

ففي تصوره لوظيفة المرأة والرجل حرص الشيخ المصلح على التفريق بشكل واضح وحاسم ودقيق بين المساواة المطلقة التي ينادي بها الغرب وبين تكامل الأدوار بينهما، وهي الفكرة التي حاول ترسيخها في ثقافة الأجيال من منطلق أن الله خلق الذكر والأنثى وجعل سعيهما متكاملا من أول يوم خلق فيه آدم عليه السلام وحواء رضي الله عنها، وأناط بكل جنس وظيفته التي خلق من أجلها تكاملا وليس تفاضلا ولا عنصرية. وهو ما أثبتت التجارب صحته إذا تتبعنا العواقب التي آلت إليها أوضاع المرأة والأسرة في العالم من حولنا.

"إن المرأة المسلمة يجب أن تتعلّم، ويجب أن تتهذب، لكن بشرط أن يكون ذلك في دائرة دينها وبأخلاق دينها.

وإن الإسلام ضمن لها حقوق الإنسان كاملة، وحاطها من جميع الجهات بما يجبر ضعفها الطبيعي، وأقرّها في أحضان البرّ والتكرمة بنتًا وزوجًا وأمًّا، وهي أطوارها التي تجتازها في الحياة، وحدّد لها الوظيفة التي حدّدتها لها الفطرة، وهي أشرف الوظائف الإنسانية بل هي الإنسانية في أول مراتبها.

وأعطاها من الماديات والمعنويات ما لم تعطها شريعة سماوية ولا قانون وضعي، وألزمها أن تتعلّم كما ألزم الرجل أن يتعلّم، لأنه سوّى بينهما في التكاليف، والتكاليف لا تؤدّى إلا بالعلم.

وأوجب عليهما العشرة، والعشرة لا تصلح إلا على العلم وجعلها مغرسًا للنسل، وغارسة للخصائص فيه، ومتعهّدة له بالسقي والإصلاح، وكل هذا لا يتمّ إلا بالعلم.

وإذا كانت تربية النحل والدود تفتقر إلى العلم، فكيف لا تفتقر إليه تربية الإنسان؟

فإذا جهلت المرأة أتعبت الزوج، وأفسدت الأولاد، وأهلكت الأمّة ".

الشيخ البشير الإبراهيمي.

رجل اصطبغ بصبغة الله.. فأصبغ بها أجيالا من أمته

د. عبد القادر سماري
وزير جزائري سابق

الحديث عن الشيخ عبد الرحمان شيبان رحمه الله هو حديث عن تاريخ أمة كانت خير الأمم التي أخرجت للناس، وهو حديث عن مرحلة دقيقة من تاريخ الجزائر المعاصر، وهو أيضا حديث عن تاريخ جيلٍ آمن بأن الإصلاح الحقيقي لا يكون بالصخب ولا بالتهديد والوعيد.. بل بالعلم والعمل الدؤوب والصبر الطويل، وبالتربية العميقة، وبالحفاظ على الثوابت مع الانفتاح على العصر.

بهذه النظرة الشاملة مثّل الشيخ شيبان نموذج العالم العامل، الذي لم يفصل بين حبه لدينه وحبه لوطنه وولائه لأمته، ولا بين انتمائه للإسلام وولائه للجزائر، في زمن تعالت فيه الأصوات المتطرفة والحركات المتسرعة، والفتاوى المهلكة.. فكان هو صوت العقل ونظر الحكمة ومهوى أفئدة الباحثين عن الخروج من جور الانبتات إلى عدل الرصانة ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، بما كان يدعو إليه من تهدئة وتوازن، وبما كان يذكّر به من مواعظ وحكم، وبما كان يرفعه من قيم الرحمة والوحدة والإخاء..

عرفته؛ وأنا في عشرينيات عمري، فاكتشفت فيه حقيقة هذا الدين علما وعملا وأخلاقا ومعاملة. ورافقته فوجدت فيه تكامل الإسلام وشموله وواقعيته ومرونته وتوازنه.. فقد كان شخصية جمعت بين الرسوخ العلمي والحضور المؤسسي والإسهام الوطني في أحلك الظروف وأدقّها، وتجلى ذلك في سيرة حياته كلها.

كان يسخر الوسائل التي تتاح له في خدمة مشروع كبير هو العودة بالأمة إلى نبعها الصافي الذي رابط حوله إمامُه وأستاذه الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله. فلما آلت إليه رئاسة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين – بإعادة بعثها في تسعينيات القرن الماضي – نهض بها نهضة أعادت لها بريقها الذي خبا منذ وفاة الشيخ بشير الإبراهيمي رحمه الله. ولم تثنه عن عزمه تلك المرحلة الدقيقة من تاريخ الجزائر المسماة بـ

«المأساة الوطنية، وهي العشرية السوداء التي عرفت فيها البلاد اضطرابات سياسية وتوترات أمنية وانحرافات فكرية عميقة. فكان للشيخ فيها صولات العالم وجولات الفقيه وحكمة الناصح المجرب.. حتى انقشع غبارها وخمدت نارها.

استلهم الشيخ في قيادة الجمعية روح مؤسسها الإمام عبد الحميد بن باديس، وتصميم شيخه الرئيس الثاني للجمعية الإمام الابراهيمي، فحرص على إعادة الاعتبار لدور العلماء في الإصلاح، بعيدًا عن التوظيف الحزبي للإسلام أو الانخراط في صراعات سياسية مباشرة مع أي طرف، فقد كانت رؤيته قائمة على أن الجمعية فوق الجماعات والأحزاب كونها «مرجعية علمية شرعية» وملاذا للأمة، تنشر الوعي، وتربي على مكارم الأخلاق، وتحمي الثوابت الوطنية بشعارها الأصيل: «الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا». خدمة للمشتركات الكبرى من أجل الوحدة الوطنية. بما كان يملكه من تجربة وعلم وبعد نظر..

فقد سبق له العمل في قطاعات كثيرة من قطاع التعليم في معاهد ابن باديس إلى التفتيش التربوي، إلى الإشراف على وضع المناهج التربوية الوطنية، إلى تنشيط المدارس القرآنية، وإحياء الدروس والمحاضرات.. ولما صار وزيرا للشؤون الدينية أعاد ربط المسجد برسالته. والأمة بدينها. والشباب بثوابت الأمة وبتراث الإصلاح الجزائري، وسعى إلى أن تكون الجمعية صوتًا للحكمة في زمن التوتر، تدعو إلى المصالحة، وترفض سفك الدماء، وتؤكد على أن الإصلاح الحقيقي يبدأ بإصلاح النفوس.

وخلال سنوات الأزمة الأمنية في التسعينيات، اتخذ مواقف واضحة ضد العنف والتطرف واستخدام السلاح، ودعا إلى الحوار، وإلى الاحتكام إلى المؤسسات، وإلى تجنيب البلاد الانقسام أو التدخل الخارجي، وكان يؤمن أن الدم الجزائري خط أحمر، وأن الاختلاف السياسي لا يبرر حمل السلاح ولا تكفير المجتمع.

وقد تعرّض بسبب مواقفه الصريحة لانتقادات حادة من أطراف متعددة، لكنه بقي ثابتًا على خطه الوسطي، مؤمنًا أن العالم الصادق لا يُساير الأهواء، بل ينصح بالحكمة، ويقول كلمة الحق في الوقت المناسب. وظل مرابطا على هذا الثغر حتى فارقنا تاركا خلفه جيلا من المؤمنين بنهجه وبطريقته الإصلاحية الهادئة،

تميّز منهجه بالوسطية والاعتدال؛ وكان يرفض الغلو في الدين من حيث المبدأ. كما يرفض التفريط فيه، ويرى أن الأمة لا تستقيم إلا بالتوازن. فاجتهد – طول حياته – في ربط أمته عامة وأبناء الجزائر خاصة بالمرجعية المالكية المقاصدية باعتبارها الإطار التاريخي والسند الثقافي الذي حفظ للجزائر وحدتها الدينية. وهو ما حمله على الاهتمام بالتربية

قبل السياسة؛ فالإصلاح عنده يبدأ بتزكية الفرد، وببناء الأسرة، وترسيخ الأخلاق. والانفتاح على الحوار مع التيارات الإسلامية المختلفة، ومع غيرها من التيارات ومع مؤسسات الدولة. وكان خطابه هادئًا، بعيدًا عن الإثارة، يركّز فيه على المعاني العميقة، والمقاصد الكبرى. ويستحضر النصوص الشرعية في سياقها المقاصدي بعيدا عن التجزيئية الضيقة.

ولم يقتصر دور الشيخ على الشأن الجزائري، بل كان له حضور في ملتقيات ومؤتمرات إسلامية دولية، حيث مثّل الجزائر في عدد من المحافل، وأسهم في التعريف بتجربتها في التعايش الديني، وفي مواجهة التطرف، وفي الحفاظ على الهوية. وكان يُنظر إليه باعتباره من حكماء الجزائر، الذين يجمعون بين المرجعية الشرعية العلمية وبين الرصيد الأخلاقي، وبين التجربة الطويلة في العمل المؤسسي.

فمن عرف الشيخ شيبان يشهد له بالتواضع، والبساطة، وحسن الخلق، فالرجل لم يكن محبًا للأضواء، ولا ساعيًا إلى الشهرة، بل كان يعتبر نفسه خادمًا للعلم والدين والوطن، كان قريبًا من الناس، يستقبلهم – دون تمييز – في مكتبه، ويصغي إلى أسئلتهم ومشكلاتهم، ويوجّههم برفق وأدب إلى ما يعتقد أنه أقوم. ولما رحل ترك أثرًا عميقًا في نفوس طلابه ومريديه والعاملين معه في جميع المؤسسات التي اشتغل فيها من المدرسة إلى الوزارة، وأثر في جيلين كاملين ليس بعلمه فحسب، وإنما بسلوكه وسمته وحسن معاملته وروحه الخفيفة التي تجمع بين صرامته عندما يتعلق الأمر بما هو جدّ، وبين روح الفكاهة التي لا تفارقه. فكان نموذجًا للعالم الذي يجمع بين القول والعمل، وبين العلم والحلم.. والمؤسسات التي أسهم في بنائها، شاهدة على جهده وجهاده.

رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن الجزائر وأهلها خير الجزاء، وجعل سيرته نبراسًا للأجيال القادمة، لتدرك أن العلم مسؤولية، وأن الدعوة أمانة، وأن الإصلاح طريق طويل يحتاج إلى صدق وثبات. فبعد أزيد من سبعين عاما قضاها في نشر العلم انتقل إلى رحمة ربه وترك لمسات لا تمحى وبصمات لا يمكن نكرانها لأنها مبثوثة في مختلف المحطات التي يسرها الله له فجعلها وسائل لخدمة دينه وأمته، ورحل عنا ولكنه ترك علما نافعا وصدقات جارية وأبناء صالحين إن شاء الله.

قراءة غائية في «رسالتي إلى الأمة» للدكتور زغلول النجار (٢-٢)

بيان أسباب تخلف الأمة وعوامل نهوضها

بقلم/ د. وصفي عاشور أبو زيد
أستاذ أصول الفقه ومقاصد الشريعة الإسلامية

نقدُ الواقع وجرأةُ المواجهة - تشخيص الداء قبل وصف الدواء

يمارس الدكتور زغلول النجار واحدة من أهم وظائف العالم الصادق: المصارحة؛ فهو لا يلتفّ حول الحقائق، ولا يهادن الأعراف الفكرية أو السياسية التي كرّست القابلية للضعف والانكسار، بل يُشخّص الواقع العربي والإسلامي بجرأةِ العالم الذي يعلم أن «السكوت عن العلّة أعظمُ من العلّة نفسها"؛ ولذلك يتعامل المؤلف مع أمراض الأمة بروح الطبيب الذي يرى أن أول العلاج مواجهة الحقيقة مهما كانت مؤلمة، فيحدّد بوضوح مواضع الخلل: الاستبداد الذي أوقف حركة العقل، والفساد الذي نخر مؤسسات الدول والمجتمعات، وغياب المشروع الحضاري الذي جعل الأمة في مواقع ردّ الفعل بدل موقع القيادة، ثم التخلف العلمي الذي حوّل المسلمين من صُنّاع للأفكار إلى مستهلكين لها.

ويقدّم النجار نقده بلغةٍ تجمع بين الصرامة الأخلاقية والحدب الأبوي؛ فهو لا يجلد الأمة ولا يجلد السلطة فقط، بل يحمّل كل فرد نصيبه من المسؤولية، ويذكّر القارئ بأن الهزائم الكبرى في تاريخ الأمم تبدأ من داخل النفوس قبل أن تقع فوق ساحات القتال، كما يكشف عن خطورة «ثقافة الأعذار» التي تعيق حركة النهضة، ويبيّن أن الاستكانة للواقع أخطر من الواقع نفسه؛ لأن الاستكانة تقتل إرادة التغيير وتغطي الأخطاء بغطاء القدر.

ويسجّل المؤلف موقفًا حضاريًّا مهمًّا حين يؤكد أن نقده ليس هدمًا، بل تقويم، وأن الغاية من المصارحة ليست التشهير، بل بناء وعي جمعي يدرك أن النهضة لا تولد من فراغ، وأن الأمة التي لا تمتلك الشجاعة لمراجعة نفسها محكوم عليها أن تبقى أسيرة التخلف، ويقدّم من خلال هذا النقد خريطة طريق غير مباشرة:

استعادة حرية الفكر، تحرير المؤسسات من قبضة الفساد، إحياء قيمة العمل، وإطلاق مشروع علمي حقيقي يعيد للأمة حضورها العالمي.

وبهذا المحور يتضح أن كتاب رسالتي إلى الأمة ليس وعظًا عامًّا، بل تشخيصًا فكريًّا عميقًا، ونداءً صريحًا إلى أن الشفاء يبدأ من لحظة مواجهة الذات، وأن الجرأة في النقد ليست خروجًا على تقاليد الأمة، بل هي أوفى صور الوفاء لها، وأقربُ السبل إلى إنقاذها.

مركزية العلم وبعثُ الروح العلمية في مشروع النهضة

يقف العلم وبث روحه في قلب رسالة الدكتور زغلول النجار إلى الأمة؛ إذ يعلن فيه بوضوح أن العلم هو الشرط الأول لنهضتها، وأن أي مشروع حضاري لا يقوم على قاعدة علمية متينة سيظل صَرْحًا من كلمات، لا من قدرات. ولذلك لا يكتفي المؤلف بالدعوة إلى العلم بوصفه فضيلة دينية، بل يضعه في موضعه الصحيح: رافعة الوعي، ومحرك التاريخ، وأداة الاستخلاف. إن الدعوة إلى العلم عند النجار ليست شعارًا؛ بل هي عودة إلى جوهر الرسالة القرآنية التي بدأت بـ اقرأ، وإلى روح الحضارة الإسلامية التي قامت على اكتشاف الكون وإعمار الأرض وتسخير سنن الله فيها.

ويقدّم المؤلف نقدًا عميقًا لما سماه «الانفصال المرضي» بين المسلم والعلم؛ حيث صار كثيرٌ من المسلمين ينظرون إلى المعرفة الحديثة بريبة أو استسلام، ويفصلون بين الدين والكون، مع أن القرآن نفسه ما ترك ظاهرة كونية إلا ودعا للتأمل فيها؛ ولهذا يلحّ النجار على إحياء الروح العلمية: روح السؤال، وروح البحث، وروح التجريب، وروح المراجعة الدائمة، مؤكدًا أن الأمة التي تتوقف عن السؤال تتوقف عن الحياة.

ويضع الدكتور زغلول – في هذا المحور – وصفًا دقيقًا لأزمة التعليم: غياب روح الاكتشاف، ضعف المختبرات، غلبة الحفظ على الفهم، واهتزاز علاقة الأستاذ بالطالب. ثم يبيّن أن إصلاح التعليم هو بوابة إصلاح الأمة، وأن النهضة ليست ممكنة إلا حين نربّي أجيالًا تعرف كيف تفكّر، لا كيف تُردّد، وتملك مهارات التحليل، لا مهارات النسخ، وتُقبل على الكون بوصفه كتابًا مفتوحًا مثلما تُقبل على القرآن بوصفه كتاب هداية.

ولأنه رجل جمع بين المختبر والمنبر، فإن حديثه عن العلم يأتي مشفوعًا بروح قرآنية مضيئة؛ فهو لا يعظّم العلم لذاته، بل لأنه طريقٌ إلى معرفة الله، وسَبيلٌ إلى تقوية الأمة، ووسيلة لتحرير الشعوب من التبعية، وهنا تتجلّى رسالته الحضارية: أن العلم عبادةٌ وواجبٌ ومصير، وأن أمةً لا تمتلك أدوات العلم ستظل في ذيل الركب مهما كثرت خطاباتها عن الماضي.

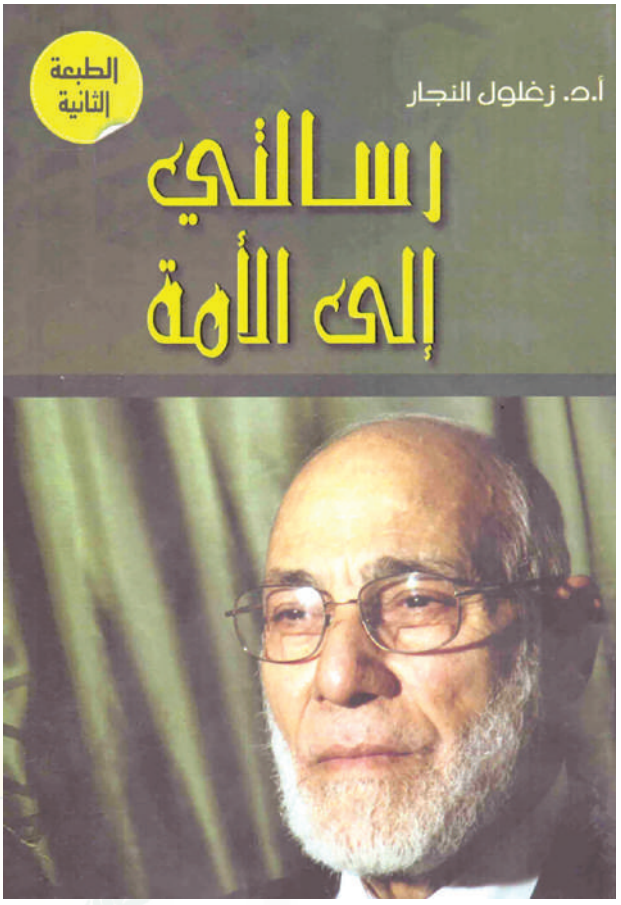

وبهذا يعيد الدكتور زغلول النجار وصْل الأمة بجذورها الحضارية، ويذكّرها بأن النهضة التي تتطلع إليها لا تُصنع بالأمنيات، بل بالمخابر والفِكَر، وأن المستقبل لن يُعطى لأحد هبةً، بل يؤخذ بالجدّ والسهر والكفاح العلمي المستمر.

الحضارة.. من الوعي إلى الفعل – شروط النهوض وطبائع العمران

يمثّل هذا المحور ذروة الوعي الحضاري في كتاب رسالتي إلى الأمة؛ إذ ينتقل فيه الدكتور زغلول النجار من تشخيص الواقع إلى رسم خريطة النهوض، ومن التأمل في مكامن الضعف إلى بيان سنن القوة، جاعلًا من الحضارة مشروعًا إراديًّا لا ينتظر المعجزات، بل يصنعها الإنسان حين يفهم سنن الله في الكون والمجتمع والتاريخ.

يقرر المؤلف أن الحضارة ليست أقوالًا ولا عواطف؛ بل هي منظومةٌ مركّبة تقوم على ثلاث دعائم: الفكرة الراشدة، والقوة المنتجة، والأخلاق الحاكمة، فإذا غابت واحدة اختلّ البناء، وإذا ضعفت الأخلاق انهار العمران، وإذا تعطّل العلم تعطّل التاريخ. ولذلك يبيّن أن النهضة لا تنشأ من الارتجال، ولا من الخطب، ولا من ترديد الموروث دون وعي؛ بل من بناء الإنسان بناءً معرفيًا وروحيًا وعمليًا، وإقامة الدولة على مؤسسات صالحة، وربط المجتمع بقيم القرآن التي لا تزدهر إلا بالفعل.

ويُعيد المؤلف صياغة العلاقة بين الدين والحضارة؛ فالدين عنده ليس عائقًا ولا مجرد محرّك عاطفي، بل هو المنظومة العليا التي تعطي للحضارة معناها الأخلاقي واستقامتها الإنسانية، ومن هنا يرفض بشدة الحضارة التي تنمو بلا قيم، لأنها تُنتج الظلم ولو بلغت الفضاء، ويرفض التدين الذي ينغلق على الشعائر دون عمران، لأنه يُنتج العجز ولو كثر روّاده. إن تلازم الإيمان والعمل هو القاعدة الذهبية التي يلحّ عليها الكتاب: حضارةٌ بلا إيمان قاسية، وإيمانٌ بلا عمران أجوف.

ثم ينتقل الدكتور زغلول إلى بيان سنن النهوض والانهيار في ضوء القرآن والتاريخ؛

فيقف عند سنن التداول، وسنن التمكين، وسنة التدرّج، وسنة الأخذ بالأسباب، وسنة التدافع، وسنة العدل، ويؤكد أن الأمم لا تنهض بالهروب من واقعها، بل بمواجهته، ولا بإحياء الماضي كما كان، بل ببعث روحه في مشروع جديد يُخاطب العصر. فالإسلام – كما يذكر – لم يأتِ ليبقى في المتاحف الفكرية، بل ليُشيّد حضارةً تُنقذ الإنسان من الطغيان والضياع.

ويعيد المؤلف تعريف «المثقف» و«المفكر» و«العالم» و«الداعية»؛ فكلهم – عنده – شركاء في صناعة النهوض، ثم يشدّد على أن النهضة ليست ملك فئة دون فئة، بل هي تكليفٌ جماعي، ومسؤولية الأمة بأجمعها: الدولة، والمجتمع، والأسرة، والفرد. والحضارة – كما يصوغها – لا تبدأ من القصور، بل من المدارس والبيوت والقلوب، ولا تُبنى بخطط مكتوبة فقط، بل بالأخلاق والعلم والعمل المتقن.

وبهذا المحور يكتمل الوعي الحضاري الذي يقدّمه الكتاب: وعيٌ يربط الماضي بالحاضر، ويقرأ الكون بالقرآن، ويجعل الإنسان مركز البناء، ويُوقن أن الأمة – مهما تراجعت – قادرةٌ على كتابة فصلٍ جديد إذا فهمت سنن الله، وتجرّدت للحق، وصدقت في الإرادة، وأخلصت في العمل.

هندسةُ الإصلاح من التدهور إلى البعث: قراءة في علل الانحطاط ومقدمات النهوض

يعلّمنا النظر في مسار الأمم أنَّ الانحدار لا يهبط فجأة، ولا يجيء البعث صُدْفة، وأنَّ طريق الضعف والقوة إنما يُصنع من داخل النفس والمجتمع قبل أن يُصنع على خرائط السياسة والجغرافيا، ومن هذا المنظور قرأ الدكتور زغلول النجار تاريخ المسلمين قراءةً سُننية تُحدّد مواطن العِلّة، وتنقّب عن جذور الوهن، وتبحث عن مفاتيح البعث، فلا يكتفي بتشخيص الألم، ولا يستسلم لمرارة الواقع، بل يردّ حركة الأمة إلى أصلين: الخلل الداخلي الذي فتح أبواب الانهيار، والبذور الكامنة التي تحمل سرّ النهوض متى وُضعت في تربة الإصلاح، وهكذا يلتئم الحديثُ عن التدهور والبعث في نسقٍ واحد، يشخص المرض ويصف الدواء، ويجمع الشاهد التاريخي بالدليل القرآني؛ ليعيد للأمة وعيها بذاتها ورسالتها، وقد فصل د. زغلول الحديث في كتابه عن عوامل التدهور وسبل النهوض على النحو الآتي:

أولًا: في مجمل عوامل التدهور:

لم يكن ما أصاب الأمة من ضعف وهوان إلا ثمرةً مُرّة لعقودٍ تراكبت فيها العلل وتراكمتْ حتى أثقلت الروح وشلّت الإرادة؛ إذ أطبق الاستبدادُ على فضاءات المجتمع، فخُنقت الحريات، ومُسخت الشورى، وانطفأ صوت الأمة تحت

طبقات من البطش والمصادرة، وغابت الرقابة، وانقطعت جسور الثقة بين الحاكم والمحكوم، ومع هذا الانغلاق السياسي تردّى حال العلم والتعليم، فانفصلت المدارس والجامعات عن رسالتها، وتحوّل التعليم إلى أوراق وشهادات بلا مهارات ولا وعي، وضُرب قلب النهضة في مقتل حين تعطّلت حركة البحث العلمي، وغابت المختبرات، وجفّت ينابيع الابتكار.

وفي ظل هذا الخلل البنيوي تمدّد التخلف التقني، حتى صار العالم الإسلامي مستهلكًا للمعرفة، عاجزًا عن إنتاجها، وفقدت الأمة القدرة على اللحاق بركب العلم، وهي التي كانت رائدةَ ميادينِه يومًا، وتوازى مع ذلك انحطاطٌ إعلاميٌّ خطير؛ إذ صار الإعلام بوقًا للسلطان الظالم، يروّج للباطل، ويشوّه الوعي، ويرفع منسوبَ اللهو على حساب قيم العقل والفضيلة، فانحرفت بوصلته من خدمة المجتمع إلى خدمة السلطة والمال.

ثم جاءت أزمة الاقتصاد لتعمّق الجرح؛ إذ تداخل الفساد مع الاحتكار، وضاعت الأولويات بين الترف غير المسؤول والفقر المدقع، وتلاشى التخطيط، واستُنزفت الثروات، وتفككت منظومات الإنتاج والعمل، فترسّخ التبعية للخارج، وافتقدت المجتمعات القدرة على النهوض بذاتها. ولم يكن الجهاز الإداري بأحسن حالًا؛ فقد تآكلت الكفاءة، وترسّخ الترهل، وتلاشت روح التخطيط، وغاب الضبط والرقابة، فتحولت الإدارة من أداةٍ للبناء إلى عائقٍ أمام الإصلاح.

وإلى جانب ذلك كلّه اشتدت الأزمة السياسية التي عطّلت طاقات الأمة؛ إذ غاب العدل، وانتهكت الحقوق، واستشرى الظلم، وتفككت الروابط بين الناس، وضاعت هيبة القانون، وتراجع دور المؤسسات، فاستبدّ بالأمة من يحكمها، وسقطت القيم الحامية للمجتمع. ثم جاءت الأزمة الاجتماعية التي ضربت جذور الأسرة، ووَهَت روابطها، وانتشرت الفردانية، وتراكمت المشكلات الأخلاقية، وازدادت الهوة بين الأغنياء والفقراء، وغابت روح التكافل التي كانت تُحصّن المجتمع من السقوط.

وفي هذا المناخ المأزوم تسلّل النفوذ الأجنبي، واشتدت الهيمنة الدولية، وتعمقت الجراح الداخلية، واستبدّ الخوف بالناس حتى غاب الوعي، وتراجعت الثقة بالذات، وتلاشت القدوة، وخفت صوت العلماء الربانيين، بينما ارتفع صوت المتسلقين والمتكسّبين، فازداد الاضطراب، وتاهت الأمة عن موقعها ومهمتها.

ثانيًا: في مجمل عوامل بعث الأمة

ومع ذلك فإنّ في باطن هذا الانكسار ملامحَ بعثٍ كامنة ما إن تُستنهض حتى تُعيد للأمة عافيتها؛ فالبعث يبدأ من إحياء الإيمان الذي يوحّد الصفوف، ويُعيد للمجتمع قوامَه الروحي،

ويجعل القرآن قائد النهضة ومصدر رؤيتها؛ إذ لا قيام لأمةٍ فقدتْ صلتَها بالوحي، ولا إصلاح بلا روح إيمانية تُعيد للضمير يقظته.

ومن هذا الإيمان تنبثق ضرورة إصلاح التعليم بوصفه المفتاح الأول للنهضة؛ تعليمًا يعيد بناء العقل، ويغرس القيم، ويصل بين المعرفة والعمل، ويرفع كفاءة المعلم، ويعيد للمدرسة والجامعة رسالتهما، ويحوّل التعليم من شهادةٍ ورقية إلى بناءٍ للإنسان.

ويتلوه بعثٌ علميّ وتقنيّ يعيد للأمة دورها في إنتاج المعرفة؛ بإحياء المختبرات، ودعم مراكز الأبحاث، وتكوين العلماء، وربط العلم بالتنمية، وردم الهوّة بين البحث والواقع، واستعادة روح الاجتهاد الجماعي الذي يجمع بين علوم الوحي وعلوم الكون، ويحوّل العلم إلى رافعة حضارية.

ويأتي بعد ذلك إصلاح الإعلام ليكون إعلامًا يبني ولا يهدم، يربي ولا يضلل، يُحيي القيم ولا يشيع العبث، ويحوّل منبر الكلمة إلى منارة وعي، فيُعيد تشكيل الرأي العام على أساس الحقيقة لا الدعاية، وعلى أساس المعرفة لا الصخب.

ثم ينبسط أفق الإصلاح الاقتصادي الذي يحرر الثروة من الفساد، ويعيد توجيه الموارد نحو الإنتاج بدل الاستهلاك، ويقيم العدالة، ويحارب الاحتكار، ويفتح أبواب العمل، ويحوّل الاقتصاد إلى أداة للكرامة لا وسيلة للهيمنة.

ويليه الإصلاح الإداري الذي يعيد للإدارة معناها: كفاءة، وانضباطًا، ورقابة، وتخطيطًا؛ إذ لا نهضة بلا جهاز إداري قويّ يحفظ الحقوق، ويمنع الفساد، ويضمن سير المؤسسات بلا عوائق.

ثم يتجلى الإصلاح السياسي الذي يُحرّر إرادة الشعوب، ويعيد للشورى مكانها، ويقيم الحكم على العدل، ويمنع الاستبداد، ويربط السلطة بالمساءلة، ويحوّل الدولة إلى مؤسسةٍ لخدمة الناس، لا للتسلّط عليهم.

ويمتد الإصلاح إلى البناء الاجتماعي بإحياء الأسرة، وتقوية الروابط، وتعميق قيم الأخلاق، وإحياء روح التكافل، ومواجهة التفكك، وبناء مجتمعٍ متماسك قادر على حمل مشروع النهضة.

ويكتمل البعث حين ترتفع رايات الجهاد والمقاومة – بمفهومها القرآني الواسع – لتحرير الأرض، وصون الكرامة، ومواجهة الطغيان، وتثبيت الحق؛ إذ لا تنهض أمةٌ تركت الظلم يستبيح أرضها وكرامتها.

ويتداخل ذلك كله في إطار رسالةٍ عالمية تقدّم بها الأمة الإسلام للعالم كما أنزله الله: رحمةً وعدلًا ونورًا، وتدفع التشويه، وتعيد للدعوة سموّها، وللأخلاق إشراقها، وللإنسانية صورتها الهادية.

***

وبهذا التوازن بين تشخيص التدهور ورسم طريق النهضة، تتجلّى روح كتاب رسالتي إلى الأمة؛ إذ لم يكتفِ الدكتور زغلول بتسجيل آلام الأمة، بل حوّل الوجع إلى وعي، وحوّل الانكسار إلى عزيمة، وفتح في قلب الظلام نافذةً من نور؛ فالكتاب قراءة سننية لمسيرة المسلمين: يحدّد أسباب السقوط لئلا تتكرر، ويقدّم مفاتيح النهوض لتستعيد الأمة دورها، وفي الجمع بين هذين المسارين تتشكّل الهندسة الحضارية للوعي التي أرادها المؤلف: وعيٌ يستمد نوره من القرآن، ويستند إلى العلم، ويتحرّك بالبصيرة، ويهتدي بالسنن، ويؤمن بأن الأمة مهما طال ليلها قادرةٌ – بإذن الله – على أن تعود إلى مقام الشهادة والقيادة، ما دامت تملك نور الوحي، وإرادة الإصلاح، وصدق التوجه إلى الله.

وهكذا تتكوّن ملامح النهضة: إيمانٌ يشعل الوعي، وتعليمٌ يبني العقل، وعلمٌ يُنتج القوة، وإعلامٌ يربي، واقتصادٌ ينهض، وإدارةٌ تُحسن التدبير، وسياسةٌ تقوم على العدل، ومجتمعٌ يتراحم، وجهادٌ يحفظ الكرامة، ورسالةٌ تُشرق على العالم.

وبهذه المعاني والآفاق تختتم القراءة الغائية لكتاب: رسالتي إلى الأمة، وتظهر بوضوح روح مؤلف الكتاب: إنها روح عالمٍ حمل همّ الأمة، وسمع نبضها، وأيقن أن فجرها لا بد أن يأتي، ما دام في قلوب أبنائها نورٌ من القرآن، وعزمٌ على العمل، وصدقٌ في التوجه إلى الله تعالى، ورحم الله د. زغلول النجار، وعوض الأمة عنه خيرًا.

دراسات ومقالات شرعية

- الضوابط المعيارية في تنزيل الأحكام الشرعية (١ – ٢)
- صور من التفسير المغلوط للقرآن الكريم
- إنها لإحدى الكبر

الضوابط المعيارية في تنزيل الأحكام الشرعية (١ - ٢)

حقيقتها وأنواعها وأثرها في الاجتهاد التطبيقي المعاصر

أ.د. محمود السرطاوي
أستاذ الفقه وأصوله في الجامعة الأردنية

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

تُعدّ مسألة تنزيل الأحكام الشرعية على الوقائع من أدقّ مسائل الفقه الإسلامي، وأشدّها تعقيدًا، وأعظمها أثرًا في حياة الناس؛ إذ لا يتحقق مقصود الشريعة بمجرد الوقوف على الحكم الشرعي في صيغته التجريدية، ما لم يُنزَّل هذا الحكم على الواقع تنزيلًا منضبطًا يراعي حقيقة الواقعة، وأحوال المكلّفين، ومآلات الأفعال. وقد تنبّه القرآن الكريم إلى هذا المعنى في غير موضع، فربط بين صحة الامتثال وحسن التطبيق، وحذّر من سوء الفهم أو تجزئة الخطاب الشرعي، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾، وقال سبحانه: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾

ومن هنا قرر علماء الأصول أن الاجتهاد لا يكتمل إلا بمرحلتين متلازمتين لا تنفك إحداهما عن الأخرى: الاجتهاد الاستنباطي الذي يُعنى باستخراج الحكم الشرعي من أدلته التفصيلية، والاجتهاد التطبيقي أو التنزيلي الذي يُعنى بإنزال هذا الحكم على الواقعة المعينة بعد فهم حقيقتها وملابساتها. وقد أفضى هذا الإدراك إلى نشوء ما اصطلح عليه الأصوليون بـ تحقيق المناط، وهو لبّ الاجتهاد التطبيقي وروحه.

ويؤكد البحث أن الخلل في تنزيل الأحكام لا يرجع – في الغالب – إلى ضعف النصوص أو قصورها، وإنما يرجع إلى إغفال الضوابط المعيارية التي تضبط عملية فهم الواقع وتنزيل الحكم عليه. وقد خلص البحث إلى أن هذه الضوابط يمكن ردّها إلى نوعين رئيسين: المعايير الموضوعية، والمعايير الشخصية، وأن مراعاة هذين النوعين معًا هو الذي يحقق مقاصد

الشريعة ويمنع الانحراف في الفتوى والقضاء.

وتهدف هذه الدراسة إلى بيان التأصيل الشرعي لهذه الضوابط المعيارية، من خلال تحليل مفاهيمها، واستقراء أدلتها من الكتاب والسنة، وتتبع تطبيقاتها في فقه الصحابة والتابعين، وبيان أثرها في الاجتهاد المعاصر، وفق المنهج الذي قرره البحث المرفق.

المبحث الأول

مفهوم الضوابط المعيارية وتنزيل الأحكام الشرعية

أولًا: مفهوم الضوابط المعيارية

الضابط في اللغة مأخوذ من الحصر والحبس والإحكام، يقال: ضبط الشيء إذا حفظه حفظًا يمنع الخلل والاضطراب، ومنه قولهم: رجل ضابط أي قوي ممسك لأمره . ويُفهم من هذا المعنى اللغوي أن الضابط أداة إحكام ومنع للانفلات.

أما في الاصطلاح، فقد اختلف الفقهاء في التفريق بين القاعدة والضابط، فذهب بعضهم إلى عدم التفريق وجعل الضابط والقاعدة بمعنى واحد، كما هو ظاهر كلام ابن الهمام والفيومي وغيرهما ، بينما ذهب آخرون إلى أن الضابط أخصّ من القاعدة، إذ يجمع فروع باب واحد بخلاف القاعدة التي قد تنتظم أبوابًا متعددة، وهو قول ابن السبكي والسيوطي وابن نجيم والزركشي . غير أن المرجّح المعنى الاصطلاحي العام للضابط، بوصفه أداة إحكام وضبط، بغض النظر عن سعة الفروع الداخلة تحته، وهو المعنى الأقرب لروح هذا البحث ومقصده.

أما المعيارية فهي نسبة إلى المعيار، وهو في اللغة ما يُجعل أساسًا للوزن أو القياس أو التقدير، ويُطلق على النموذج الذي تُقاس به الأشياء . وفي الاصطلاح هو الأصل أو النموذج الذي يُرجع إليه في التقدير والمقارنة. وعلى هذا، فإن وصف الضوابط بأنها معيارية يعني أنها ضوابط نموذجية قياسية، تُضبط بها عملية تنزيل الأحكام، وتُحصر بها الجزئيات، حتى لا يدخل فيها ما ليس منها، ولا يخرج عنها ما هو داخل فيها.

وعليه، فإن الضوابط المعيارية في تنزيل الأحكام الشرعية هي: تلك الأسس والأصول التشريعية التي يراعيها المجتهد عند نظره في الواقعة محل السؤال، وأثناء تنزيل الحكم الشرعي عليها، بما يمنع الخلل والالتباس، ويحقق مقاصد الشريعة التي وُضعت الأحكام من أجلها .

ثانيًا: مفهوم تنزيل الأحكام الشرعية

التنزيل في اللغة يدل على الهبوط والترتيب والتقريب، ومنه نزول القرآن الكريم، وقد استُعمل هذا اللفظ عند العلماء للدلالة على إيصال المعنى إلى الفهم على وجه التفصيل . أما في

الاصطلاح الأصولي، فالمراد به – كما قرره ابن القيم – فهم حكم الله تعالى في الواقع المعين، ثم تطبيق هذا الحكم على ذلك الواقع بعد استجماع شروطه وانتفاء موانعه .

ولا يُراد بتنزيل الحكم مجرد إلحاق الواقعة بالنص إلحاقًا صوريًا، بل المراد تحقيق مقصود الشارع من الحكم عند تطبيقه، وهو ما يقتضي فقه النص وفقه الواقع معًا. ومن هنا يظهر الفرق الجوهري بين من يكتفي بظاهر الدليل دون نظر في مآلاته، وبين من ينفلت من النصوص بحجة مراعاة الواقع؛ فكلاهما قد أخطأ في التنزيل.

أما الحكم الشرعي، فهو – عند جمهور الأصوليين – ما ثبت بخطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين اقتضاءً أو تخييرًا أو وضعًا ، وهو أثر الخطاب لا عينه، ولا ثمرة عملية للخلاف اللفظي المعروف بين الأصوليين والفقهاء في تعريفه، لوجود التلازم بين النص وحكمه.

المبحث الثاني

أنواع الضوابط المعيارية في تنزيل الأحكام الشرعية

إنّ تنزيل الحكم الشرعي على الواقعة يمر بمرحلتين متكاملتين: مرحلة فهم الواقعة، ومرحلة تطبيق الحكم عليها. ولكل مرحلة ضوابط ومعايير لا بد من مراعاتها حتى يكون الحكم مصيبًا لمقصود الشارع. وتنقسم هذه المعايير إلى معايير موضوعية ومعايير شخصية، وهو تقسيم له جذوره العميقة في التراث الأصولي تحت مسمّى تحقيق المناط العام وتحقيق المناط الخاص.

أولًا: المعايير الموضوعية

المعايير الموضوعية هي تلك الآليات والأسس التي يراعيها المجتهد عند فهم الواقعة وتنزيل الحكم عليها، دون التفات إلى حال المستفتي بعينه، وبما يحقق النظام العام والمقاصد الكلية للشريعة . وهي معايير تتعلق بالواقعة من حيث هي واقعة، وبحال الجماعة، وبالظروف العامة المحيطة بالفعل.

١ – العرف

يُعدّ العرف من أهم المعايير الموضوعية التي اعتبرتها الشريعة في بناء الأحكام وتنزيلها. والعرف في اللغة هو ما تعارف الناس عليه واستقر في نفوسهم، وفي الاصطلاح هو عادة جمهور قوم في قول أو فعل، إذا استقرت وتلقّتها الطباع السليمة بالقبول .

وقد بنى الفقهاء على العرف جملة من القواعد الكلية، من أشهرها: العادة محكّمة، والمعروف عرفًا كالمشروط شرطًا، والثابت بالعرف كالثابت بالنص . وهذه القواعد تدل على أن الشريعة لم تهمل الواقع الاجتماعي، بل جعلت العرف أداة لفهم النص وتحديد مناط الحكم.

غير أن التغير المرتبط بالعرف ليس تغيرًا في الحكم الشرعي ذاته، وإنما هو تغير في مناط الحكم ومتعلقه، وهو ما أكده الشاطبي حين قرر أن اختلاف الأحكام باختلاف العوائد ليس اختلافًا في أصل الخطاب الشرعي، وإنما هو رجوع كل عادة إلى أصل شرعي يحكم بها .

وقد انتقد العلماء الجمود على الأعراف القديمة في الفتوى مع تغيّر أحوال الناس، فعدّ القرافي الإفتاء وفق أعراف انقرضت جهلًا بالدين ومخالفة للإجماع ، وشدّد ابن القيم في ذمّ من يفتي الناس بمجرد المنقول في الكتب دون اعتبار لأعرافهم وأزمنتهم وأمكنتهم .

٢- حال الجماعة والواقع العام

من المعايير الموضوعية التي شدّد عليها البحث المرفق مراعاة حال الجماعة والواقع العام الذي تُنزَّل فيه الأحكام، إذ إن الشريعة لم تُخاطب الأفراد بمعزل عن مجتمعاتهم، بل راعت البنية الاجتماعية والسياسية والفكرية للأمة. وقد دلّ على ذلك قول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، حيث إن الخطاب هنا جماعي، يدل على أن كثيرًا من الأحكام إنما تُفهم وتُنزَّل في سياق الجماعة لا في إطار الفرد المعزول.

كما أن تجاهل حال الجماعة قد يؤدي إلى تنزيل الحكم تنزيلًا مشوّهًا، يفضي إلى الفتنة أو الإضرار بالمصالح العامة. ومن هنا كان النبي ﷺ يراعي حال المجتمع في تقرير الأحكام، كما في تركه ﷺ قتل المنافقين مع قيام موجب القتل في الظاهر، معللًا ذلك بقوله: «لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه» ، فاعتبر المآل الاجتماعي والإعلامي للفعل، وقدّم درء المفسدة العامة على إعمال الحكم في صورته المجردة.

وسار الصحابة رضي الله عنهم على هذا النهج، فكانوا ينظرون إلى حال الأمة واستقرارها ووحدتها عند تنزيل الأحكام. ومن ذلك ما قرره عمر بن الخطاب رضي الله عنه من منع بعض المباحات المؤدية إلى الفساد العام، كمنعه الناس من الإكثار من المهور، ومنعه كبار الصحابة من مغادرة المدينة في فترات معينة، لا تغييرًا لحكم شرعي، بل ضبطًا لتنزيله بما يحفظ المصلحة العامة.

٣- الزمان والمكان

من المعايير الموضوعية ذات الأثر البالغ في تنزيل الأحكام الشرعية مراعاة الزمان والمكان، إذ قد تختلف الأحكام في تطبيقها باختلاف البيئات والظروف. وقد دلّ القرآن الكريم على هذا المعنى في غير موضع، كما في تعليق بعض الأحكام بأزمنة مخصوصة، كالأشهر الحرم، أو أمكنة مخصوصة، كالحرم المكي والمدينة المنورة.

وقد قرر الأصوليون أن تغيّر الزمان والمكان

ليس سببًا لتغيّر النصوص، وإنما سبب لتغيّر مناط الحكم، وهو ما عبّر عنه ابن القيم بقوله المشهور: «تغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد» . وهذا التقرير لا يعني بحال تمييع الشريعة أو جعلها تابعة للواقع، بل يعني أن النص الواحد قد يُنزّل تنزيلات مختلفة بحسب اختلاف محاله.

ومن أمثلة ذلك من فقه الصحابة والتابعين، اختلاف تطبيق بعض العقوبات والسياسات الشرعية بحسب اتساع الدولة الإسلامية وتنوع الأعراف، دون أن يعدّ ذلك اختلافًا في الدين، بل اختلافًا في فقه التنزيل.

٤- فقه المآلات والنتائج

إن من أخطر أوجه الخلل في تنزيل الأحكام إغفال فقه المآلات، أي النظر في النتائج المتوقعة من تطبيق الحكم في الواقع المعين. وقد قرر هذا الأصل الإمام الشاطبي تقريرًا بليغًا، إذ قال: (النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعًا، كانت الأفعال موافقة أو مخالفة) وقد دلّ القرآن الكريم على هذا الأصل في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ ، فنهى عن أمر في ذاته حق، لما يترتب عليه من مفسدة أعظم. كما دلّت السنة على ذلك في مواقف كثيرة، منها ترك النبي ﷺ إقامة بعض الأحكام أو تأخيرها خشية مفسدة راجحة.

إن فقه المآلات ليس ذريعة لتعطيل النصوص، وإنما هو أداة لضبط تنزيلها بما يحقق مقاصدها، وأن إهماله يؤدي إلى تنزيل جامد قد يُنسب فيه الظلم أو الفساد إلى الشريعة زورًا... يتبع

صور من التفسير المغلوط للقرآن الكريم

د. جمال أبو حسان
أستاذ التفسير وعلوم القرآن

بات اقتحام أسوار القرآن الكريم وتفسيره، هذه الأيام – وللأسف – على نحو يخرج بهذا التفسير عن المقررات العلمية التي تلقاها المسلمون سلفا وخلفا عن السابقين الذين نهلوا من مدرسة النبوة، وصار كل مثقف! لا يجد عملا أو لا يجد مالا أو غير ذلك يظن أن اقتحام تفسير القرآن هو أقرب وسيلة وأيسرها لتحقيق المراد وخاصة ما يسمى بالشهرة!

وقد يمرُّ هؤلاء في حياتهم بأحوال متنوعة لم تحقق رغيتهم في الوصول إلى المجد والشهرة، فرأوا أن اقتحام باب التفسير يحقق لهم هذه الرغبة، لا سيما وأن المشتغلين في تفسير القرآن سيطرت عليهم عبارة قديمة عن المبتدعة وهي:» دعوهم للأيام يموتوا» وقد ثبت بطلان هذه العبارة ثبوتا يقينيا بواسطة الضخ الإعلامي لهؤلاء الذين يراد لشبهاتهم أن تموت، فأصبحت شبهاتهم تتكاثر حتى وصلت لكل من أراد البحث عن الأوهام، علاوة على الدعم المادي الذي يتلقاه هؤلاء في عالم لا يريد للإسلام أن يتمثل في حياة الناس وواقعهم، لأن تمثله يعني القضاء عليهم وعلى كل ما يخططون ويبنون.

وقد انزلق هؤلاء منزلقات منحدرة جدا بعد ما شاهدوا كثرة الذين يعلقون على ما يهرفون به بأنه إبداع لا نظير له، وهكذا شأنهم شأن أهل البدع إذ يرون في كل ما يقدمون أو ما يُعجبون به، ولو تعارض مع أصول الشريعة بأنه إبداع يجب تشجيعه، ولا أريد أن ينفلت الكلام مني في هذا المقال إلى غير ما أحب، ولكنه تنبيه لا بد منه، بعد أن رأيت صمت المؤسسات الدينية، ومجامع اللغة العربية، وكليات الشريعة، عن التصدي لمثل هذه الأوهام وإيقاف هؤلاء الاشخاص عند حدودهم بالحوار والمناقشة الجادة، وإني لأظن أنه يمكنهم أن يعودوا إلى ما قبل هذا الانزلاقات التي انزلقوا إليها.

ومن هؤلاء من يرى أن تفسير القرآن ينبغي أن لا يتجاوز اللغة العربية، وأن ننصرف عن المأثور المنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة، وأن يتم تشويه علماء التفسير بأنهم

لم يصلوا إلى ما وصل هؤلاء إليه، وينبغي أن يعلم أن كل علماء التفسير السابقين واللاحقين قد نعوا على من يتخذ اللغة العربية وحدها السبيل الوحيد لتفسير القرآن الكريم فقط، ذكروا ذلك في مقدمات التفسير أو في ثناياه..

وقد اتفقوا تقريبا على أن التفسير لا يجوز بحال أن يبتعد عن الضوابط التي صاغها علماء الإسلام وهي:

١. تفسير القرآن بالقرآن، ولهذا شروطه وليس الأمر فيه منفلتا بلا قيود ولا شروط.

٢. تفسير القرآن بما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم.

٣. تفسير القرآن بما يلائم السياق الذي وقعت فيه الآية المفسرة، ولذلك قالوا:» السياق عاصم للمفسر من الوقوع في الخطأ».

٤. تفسير القرآن باللغة العربية، وليس بمجرد كونها لغة بل لا يجوز التفسير بالعربية إلا إذا كانت اللغة هي الأشهر والأقيس والأفشى على ألسنة العرب وقت نزول القرآن الكريم، وهذا يعني أن ما يفتريه الحداثيون من فهوم قاصرة للغة أو التفسير بما شاع عن المتأخرين من الاستعمال لبعض الألفاظ فإن هذا مجمع على أنه لا يحل تفسير القرآن به.

٥. علاوة على ما ينبغي للمفسر أن يتحلى به من الأخلاق الحميدة والمعرفة التامة بما يحتاجه المفسر من العلوم، وأن يكون مبتعدا عن الهوى وأصحابه.

وحتى لا يطول هذا المقال فقد استمعت إلى بعض من يقول منهم بأن ليلة القدر هي الانفجار العظيم الذي حدث بعد ظلام دامس للكون، وهذا يدل على أن هؤلاء يمرون بكتب التفسير على نحو ما قال النضر بن جؤية الكريم في المال، إذ قال:

لا يألف الدرهم المضروب صرتنا

لكن يمر عليها وهو منطلق

وهكذا هم يمرون على كتب التفسير – إن مروا وهم منطلقون – وهاك بعض الملاحظات على هذه الجزئية من التفسير:

- إن سورة القدر نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم بعد بعثته، وهذا يعني أنها ليست حديثا عن شأن كوني، لأنها باب من التعبد المطلوب من المؤمنين أن يلجوه.
- إن ما سمي بالانفجار العظيم هو عبارة عن نظرية وليست حقيقة علمية، بحيث يستند إليها في بيان إعجاز القرآن ، وربما يأتي زمانٌ ينتهي فيه العلماء إلى أن ما سُمِّيَ بالانفجار العظيم ليس إلا احتمالًا أو وهمًا.
- إن الله تعالى يتحدث عن ليلة معينة سماها ليلة القدر، فكيف يمكن انصراف العقل إلى انفجار بدلا عن معنى الليلة.

- من أين جاء القائل بأنه قبل نزول هذه الآية كان الظلام يعم الكون، هل كانت أزمنة الأنبياء الذين أُرسلوا في أمم سابقة كلها ظلام دامس.

ومنهم من يفسر قوله تعالى:» ولبثوا في كهفهم ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعا» بأنه يدل على أن عدد أصحاب الكهف هو ٣٠٩ أنفار، وكيف التأم له هذا مع قوله تعالى:» سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم»؟

وذاك الذي يفسر آيات الحجاب للمرأة في القرآن بأن الحجاب يعني ستر الثديين وستر العورة لا غير، وأن المرأة لو ذهبت إلى البحر بلباس _البكيني _ وجسدها عار تماما إلا من الثديين والعورة فهذا هو الحجاب الإسلامي!!.

لا شك أن ما ذهب إليه هؤلاء نوع من الإلحاد في تفسير كلام الله تعالى، وعلى مجامع اللغة في العالم الإسلامي وبخاصة في مصر والشام والأردن أن تفرّغ أساتذة بارعين للرد على من يسمون باللسانيين الذين يريدون العبث بدين الأمة، وكذلك على كليات الشريعة أن تتصدى لمثل هذه الألاعيب وإن كان منشؤها بعض الدول العربية فليس هذا بحصانة لها للافتراء على الله تعالى

كما أهيب بمن يظن فيهم الخير أن لا يرتادوا المواقع التي تبث هذه السموم، فبمجرد مشاركاتهم فيها يُعدّ هذا قبولا اجتماعيا لهذه المواقع الهدامة، فيكون هؤلاء ممن يشارك بالافتراء على الله تعالى.

قراءات منهجية

- أصول التفكير العلمي عند الإمام الشافعي في كتاب «الرسالة»
- القراءات الحداثية للقرآن.. قراءة نقدية في المسارات والمآلات

أصول التفكير العلمي عند الإمام الشافعي في كتاب "الرسالة"

د. بدران بن لحسن
أستاذ باحث مشارك مركز ابن خلدون
للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قطر

مقدمة

يكتسب كتاب "الرسالة" للإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ) قيمةً معرفية تأسيسية في حقل المعرفة الإسلامية؛ إذ يمكن قراءته بوصفه مشروعًا لتأسيس منهج تفكير يضبط إنتاج المعرفة الشرعية، ويمنحها معايير للفحص والتقويم. ولذلك نجد الامام الشافعي يتناول الاستنباط بوصفه عملية عقلية ذات مراحل وشروط وحدود. ومن هنا فإن "الرسالة" تقدم نموذجًا مبكرًا لما يمكن تسميته أصول التفكير العلمي داخل حقل المعرفة الإسلامية، من خلال ضبطه للمفاهيم وترتيب المصادر، وتقعيد طرق الاستدلال، وإدارة منهجية التعارض الظاهري بين النصوص، وتأسيس مبدأ قابلية المراجعة والنقد.

١. تحديد طبيعة المعرفة الشرعية

يبدأ التفكير العلمي في جوهره من تحديد ما يُعد معرفة معتبرة وما ليس كذلك. وفي "الرسالة"، يسعى الإمام الشافعي إلى نقل الفقه من مستوى الأقوال المنقولة إلى مستوى الأقوال المؤسسة منهجيا على دليل. بمعنى انه اهتم ببيان وجه القول: ما الدليل؟ وما طريق الاستدلال؟ وما شروط الانتقال من الدليل إلى النتيجة؟

هذه النقلة تحمل دلالتين منهجيتين؛ أولاهما تحويل النتائج إلى قضايا قابلة للتحقق: لأن الحكم حين يُبنى على مقدمات محددة يصبح قابلًا للمراجعة؛ إذ يمكن فحص صحة المقدمة أو سلامة الاستنتاج أو مطابقة القاعدة للمورد. وثانيهما وضع المنهج داخل الجماعة العلمية فلا يعود استنباط الاحكام ملكة خاصة ترتبط بقوة الشخص أو هيبة العالم، بل يصبح علمًا يمكن لغيره أن يناقشه؛ لأن الحجة مشتركة والمعيار معلوم.

٢. ترتيب مصادر الاستدلال وتحقيق الانضباط المعرفي

يحتاج المنهج العلمي إلى ترتيب واضح للمصادر، لأن الخلل في مصدر المعرفة يفضي إلى خلل في المعرفة نفسها. وقد قدم الشافعي في "الرسالة" تصورًا ينظم مراتب الأدلة ويمنع التداخل بينها؛ فالقرآن في الصدارة، ثم السنة بوصفها بيانًا، ثم الإجماع كضابط جامع، ثم القياس كامتداد استدلالي منضبط.

وتأتي أهمية هذا الترتيب في كونه تأسيسا لمبدأين معرفيين اثنين هما؛ مبدأ الأولوية بحيث لا يُترك الأعلى (الأقوى حجية) إلى الأدنى (الأضعف) إلا لسبب علمي. وهذا يمنع الانتقائية التي تُسقط الاستدلال في المزاجية أو التشهي أو التلاعب بالأدلة. ومبدأ التناسب بين نوع الدليل ونوع الدعوى، فالدعاوى التي تتصل بالأصول والثوابت لا يناسبها إلا أقوى الأدلة (العلم/القطع)، بينما مسائل الفروع والاجتهاد قد تتسع لمجالات الظن المنضبط. وبهذا يضع الشافعي إطارًا من الضبط المعرفي الذي يجعل المسالك محددة والاحتمالات لا تخرج عن ما تسمح به مراتب الحجية.

٣. ضبط الدلالات بوصفه شرطًا سابقًا على الاستنباط

يُعدّ البعد اللغوي في "الرسالة" ركنًا معرفيًا لا يمكن تجاهله. فالشافعي ينطلق من أن النص الشرعي لا يُستثمر إلا عبر فهم دلالته، وأن كثيرًا من الخلاف الفقهي هو في حقيقته خلاف دلالي: كيف نفهم العام؟ ومتى يخص؟ وكيف يعمل المطلق مع المقيد؟ وما أثر السياق؟ وتتجلى علمية هذا المسار في ثلاثة أبعاد؛ أولها تحويل الفهم إلى إجراء، فبدل أن يكون الفهم انطباعًا أو تشهيا كما شاع عند بعض الفرق الباطنية مثلا، يصبح سلسلة قواعد: عام وخاص، ومجمل ومبين، ومطلق ومقيد، ... وهذا يجعل الفهم ذاته قابلاً للتقويم والحكم عليه بالصحة أو الفساد. وثانيها تقليل مساحة الالتباس، لأن ضبط الدلالة يقلل من تأويلات متعارضة قد تنشأ من التوسع غير المبرر وغير المؤسس في المعنى. وثالثها ربط الحكم بالمعنى لا بالألفاظ المجردة، فالإمام الشافعي لا يكتفي بظاهر لفظٍ منفصل، بل يراعي أساليب العرب وطرائق خطابهم، وهو ما يمنع القراءة السطحية التي تُنتج أحكامًا مضطربة. وعليه، فإن المنهج الذي وضعه الشافعي في «الرسالة" يجعل الحكم يبدأ من تحقيق الدلالات قبل تقرير الفتوى.

٤. منهج التثبت من السنة ومعايير قبول الخبر

إضافة على ما سبق، فإن الامام الشافعي يقدم في "الرسالة" تأسيساً منهجيًا لحجية السنة، وذلك من خلال تفريقه بين خبر الخاصة وخبر العامة، وكذلك طرق قبول الخبر والتأكد منه،

حتى سمي ناصر السنة. ولذلك ففي الرسالة نجد إجابة عن سؤال: كيف نضمن صدقية المصدر المنقول؟

لأن التفكير العلمي يقتضي وضع شروط لقبول المعلومات، والدقة بشأن درجة الثبوت. وهنا تتجلى منهجية الشافعي في بناء منطق التفكير في الموضوع، مما يساعد على؛ التفريق بين مراتب النقل، فليس كل ما يُروى في مرتبة واحدة، بل هناك تفاوت في القوة ينعكس على قوة الاستدلال. واشتراط المعايير، فقبول الخبر يقوم على إجراء تحكمه شروط تتصل بالثقة والاتصال والدلالة. ودمج الثبوت والفهم، لأنه حتى الخبر المقبول ثبوتًا يحتاج إلى فهم صحيح ودلالة منضبطة، وإلا انقلبت قوته إلى مصدر اضطراب.

وإذا نظرنا إلى هذا في سياق أصول التفكير العلمي، وجدنا أن الشافعي يضع نموذجًا مبكرًا لما يمكن تشبيهه بنقد المصادر؛ إذ أن الخبر لا تبنى عليه النتائج قبل التحقق من مسار وصوله ومعناه.

٥. إدارة التعارض الظاهري بين الأدلة

من العلامات الفارقة في التفكير المنهجي أن يمتلك نظامًا لمعالجة التعارض الظاهري بين النصوص إذا طرأ. وفي "الرسالة"، لا يسمح الشافعي بأن يتحول التعارض إلى ذريعة لإسقاط النصوص أو تفضيل بعضها بلا معيار. بل يقترح مسارًا متدرجًا يقوم على ثلاث خطوات؛ أولها الجمع بين النصوص، لأن الأصل وحدة المصدر ووحدة المقصد، والتعارض في الغالب ناشئ عن قصور في الفهم أو اختلاف في السياق. وثانيها الترجيح، إذا تعذر الجمع، فلا بد من معيار واضح يبين لماذا يُقدّم هذا الدليل على ذاك. وثالثها النسخ، وهو أضيق المسالك، ولا يُصار إليه إلا إذا ثبتت شروطه وثبت تاريخه أو الدلالة المعتبرة.

وتكمن الأهمية التحليلية لهذا الترتيب أنه يحقق توازنًا بين المحافظة على النصوص والواقعية في التعامل معها، ومنع القفز المنهجي على الأدلة، فلا يقع إسقاط دليل أو ادعاء النسخ قبل استنفاد الاحتمالات العلمية.

٦. ربط النص بالواقع ضمن شروط قابلة للفحص

يمثل القياس في "الرسالة" جهازًا لاستيعاب المتغيرات، لكنه جهاز منضبط بعلة منضبطة. لذلك يشدد الشافعي في الرسالة على أن القياس لا يكون معتبرًا إلا إذا قام على علة منضبطة مستخرجة من أصل معتبر.

ولكي يؤدي القياس دوره في إنتاج تفكير علمي، فإن الشافعي جعله يقوم على عناصر أساسية؛ أولها التعليل، وثانيها التحقق، فالعلة

ليست ادعاءً، بل وصفًا مؤثرًا يمكن فحصه. وثالثها قابلية الاعتراض، إذ يمكن مناقشة القياس بإبطال علته، أو بيان عدم تحققها في الفرع، أو إظهار فارق معتبر. وبذلك يكون القياس عند الشافعي منهجًا لتوليد الأحكام في النوازل دون أن ينفصل عن النص، وفي الوقت نفسه لا يحول دون استجابة النص للوقائع الجديدة.

٧. «الرسالة" بوصفها تأسيسًا لعلم الأصول

يظهر من العناصر التي تناولناها أن "الرسالة" كتاب في منهج الفقه والتفكير العلمي. فهي تؤسس لممنهج الاجتهاد يقوم على مفاهيم وقواعد وخطوات واضحة تجيب عن عدد من الأسئلة المعرفية والمنهجية تتعلق بالاجتهاد؛ كيف نحدد المصدر؟ وكيف نضبط الدلالة؟ وكيف نتحقق من النقل؟ وكيف ندير التعارض؟ وكيف ننتقل من الأصل إلى الفرع؟

وهذا يجعل أصول الفقه منهج للتفكير العلمي، وعلما يقنن التفكير، ويوحّد لغة النقاش العلمي. فالخلاف داخل الجماعة العلمية بعد الشافعي لم يعد مجرد اختلاف آراء، بل صار اختلافًا حول: هل تحقق شرط الدلالة؟ هل صحّ الخبر؟ هل انضبط القياس؟ وهذا هو معنى العلم كمؤسسة معيارية، يدار فيها الاختلاف ضمن قواعد مشتركة تعترف بها الجماعة العلمية وتدير من خلالها منهجية التفكير في استنباط الحكم الشرعي وغيره، وخاصة بعد التطورات التي عرفها علم أصول الفقه بعد الشافعي.

٨. خاتمة

إن القراءة التحليلية تكشف أن أصول التفكير العلمي عند الإمام الشافعي في "الرسالة" تتمثل في بناء عقلٍ استدلالي يربط المعرفة بالدليل، والدليل بقواعد الفهم، ويجعل النتائج قابلة للمراجعة والنقد. فقد أسس سلّمًا للحجية يمنع فوضى المصادر، وجعل التحليل اللغوي شرطًا سابقًا على الحكم، وقرر معايير للتثبت من الخبر، ووضع منهجًا متدرجًا لإدارة التعارض، وفعّل القياس كعقل برهاني قابل للفحص. وبذلك أسهم في وضع منطق التفكير الإسلامي الذي جعل من الاجتهاد نظاما معرفيا مضبوطا للتعامل مع النص الشرعي، وهو ما يبرر اعتبار "الرسالة" لحظة تأسيسية في تاريخ المنهج الإسلامي.

القراءات الحداثية للقرآن.. قراءة نقدية في المسارات والمآلات

زياد أحمد سلامة
كاتب وباحث أردني

مقدمة:

بتنا نسمع ومنذ نحو ثلاثين سنة مصطلحات جديدة نحو «القراءة المعاصرة للقرآن» و«القرآنيون» و«التنويريون» و«الحداثيون» ونحو ذلك، وبتنا نقرأ ونسمع مع هذه المصطلحات تفسيرات جديدة للقرآن؛ وأحكاماً فقهية مخالفة لما استقر في الفقه الإسلامي منذ نشأته. فما هو مفهوم «القراءة المعاصرة» ومن هم أهم رموزها، وهل من خطورة وراء هذه الطروحات؟!

مفهوم القراءة المعاصرة

هي البديل المقترح عن قواعد تفسير النصوص التي تخضع للغة العربية التي تنزل بها القرآن، نحواً وصرفاً وبلاغة وأسلوب خطاب، مثل قاعدة: "الأصل في الكلام الحقيقة" و"لا يصار إلى المجاز إلا عند تعذر الحقيقة"، و"اللفظ العام يجري على عمومه"، و"اللفظ المطلق يُحْمَلُ على الفرد الكامل، ويحمل المطلق على المقيد وليس العكس" و"العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب".. الخ.

والقراءة المعاصرة عند أصحابها هو فهمك الشخصي لآيات القرآن الكريم بالطريقة والكيفية التي تريدها، بعيداً عن أقوال المفسرين والفقهاء ومَنْ يُعتَبرون «أصحاب التراث»، ولكل إنسان الحرية المطلقة أن يفهم القرآن كما يريد، ما دام أنه ليس هناك رجال دين يحتكرون النظر في القرآن الكريم.

نشأتها:

هناك من يعتبر نشأة هذه الجماعة نشأة طبيعية تعود إلى دراسة القرآن الكريم دراسة فردية شخصية دون الاتكاء على أي مرجع من مراجع العلماء المسلمين القدماء والمُحْدَثين، وهناك من يعتبر نشأتها مصطنعة وراءها أصابع غربية ترمي للكيد بالإسلام والمسلمين من خلال تفكيك الخطاب الديني التقليدي، جاء في كتاب «الإسلام في الليبرالية «للدكتور جوزيف مسعد:

«ويسعى «تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام ٢٠٠٥» التابع لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي إلى: «تناول التحولات في المواقف وإصلاح الإطارات الثقافية. وبالأخص سيقوم بتحديث التأويل والفقه عبر التبني الشامل للقراءات المتنورة للاجتهاد، ويتوجب على الأخير أن ينعتق من عبودية المؤسسات والشخصيات الدينية القائمة ليصبح حقاً وواجباً على كل مسلم متعلم، امرأة كان أم رجلاً، لها وله القدرة على الانخراط في دراسة دينها أو دينه» ويقول د. مسعد: وهكذا فإن دعوة التقرير للإصلاح لا تهدف إلى تقديم قراءات فقهية جديدة للقرآن من قبل مسلمين، بل بالأحرى تهدف إلى جعل القراءات الفقهية الجديدة متماشية مع التشريعات الليبرالية «الدولية».

في العصر الحديث: ظهرت فكرة إنكار السنة في الهند في فترة الاحتلال الإنجليزي على يد أحمد خان الذي فسر القرآن بمنهج عقلي محض، ووضع شروطا تعجيزية لقبول الحديث؛ مما جعله ينكر أغلب الأحاديث. ثم تلاه عبد الله جكرالوي في باكستان الذي كان يشتغل بدراسة الحديث، ومن ثم اصطدم بالعديد من الشبهات حوله، فتوصل في النهاية لإنكار كافة الحديث وفي الهند ظهر غلام أحمد برويز، و»أحمد الدين الأمرتسري» مؤسس جماعة «أمة مسلمة» ومحبُّ الحقّ عظيم آبادي، وأسّس الحركة القرآنيّة هناك، وفي مصر وسنة (١٣٢٤هـ/١٩٠٦م) كتب الطبيب محمد توفيق صدقي في مجلة المنار مقالا عنوانه "الإسلام هو القرآن وحده" ورد عليه الشيخ محمد رشيد رضا ما جعله يتراجع عن أفكاره هذه، وعام ١٩٣٥ ردد إسماعيل أدهم هذه الفكرة. وغابت الفكرة إلى السبعينيات على يد أحمد صبحي منصور ورشاد خليفة والصادق النيهوم ومعمر القذافي ومحمد دويكات، وتولى محمد شحرور فكرة القراءة المعاصرة والاكتفاء بالقرآن وإنكار السنة، وتبعه كثيرون منهم عادل عصمت من مصر ويوسف أبو عواد من الأردن، وإجمالاً تدور في فلك هذه القراءة وإنكار (الموروث) من سنة وتفسير وفقه؛ أسماء: نصر حامد أبو زيد، ومحمد أرغون ومحمد عابد الجابري وجورج طرابيشي ومحمد سعيد العشماوي، محمد عبده ماهر وخليل عبد الكريم وسيد القمني وحسن حنفي وغيرهم. وأشهر منكري السنة من المستشرقين: أغناس جولد تسيهر. دوزي. سوفاجيه، شاخت. شبرنجر. غاستون ويت. ليوني كاتياني.

يُعتبر محمد شحرور العمود الفقري لتيار الحداثة هذا وصاحب مقولة القراءة المعاصرة، وكان فاتحة التعرف إليها نشره كتابه "الكتاب والقرآن: قراءة معاصرة" الصادر عام ١٩٩٠، وكلُ مَنْ جاء بعده تبنى مقولاته بشكل مطابق. فمن هو محمد شحرور؟

ولد محمد شحرور في دمشق عام ١٩٣٨ من عائلة متوسطة حيث كان والده صباغا، أتم تعليمه الثانوي في دمشق وحاز على الثانوية العامة ١٩٥٨ وسافر بعد ذلك إلى الاتحاد السوفيتي ليتابع دراسته في الهندسة المدنية، وتخرج بدرجة دبلوم ١٩٦٤ من جامعة موسكو آنذاك ثم عاد لدمشق ليعين فيها معيداً في كلية الهندسة المدنية في جامعة دمشق حتى عام ١٩٦٨. أوفدته الجامعة إلى جامعة دبلن بإيرلندا عام ١٩٦٨ للحصول على شهادتي الماجستير عام ١٩٦٩، والدكتوراه عام ١٩٧٢ في الهندسة المدنية/ اختصاص ميكانيك تربة وأساسات. عُيّنَ مدرساً في كلية الهندسة المدنية بجامعة دمشق عام ١٩٧٢ لمادة ميكانيك التربة، ثم أستاذا مساعداً. افتتح مكتباً هندسياً استشارياً لممارسة المهنة كاستشاري منذ عام ١٩٧٣، وظل يمارس الدراسات والاستشارات الهندسية في مكتبه الخاص حتى وفاته. له عدة كتب في مجال اختصاصه، بدأ بدراسة القرآن الكريم منذ عام ١٩٧٠، وقد ساعده المنطق الرياضي على هذه الدراسة، واستمر بالدراسة حتى عام ١٩٩٠، ثم أصدر عدداً من الكتب التي تدور حول هذه الأفكار.

أهم أفكار ومرتكزات هذه القراءة:

كتب الأستاذ شريف جابر بأن أحد أتباع شحرور قد لخص أدوات فهم القرآن بديلاً عن أدوات أصول الفقه التي نسبها للإمام الشافعي رحمه الله، قال هذا إنّ ثلاثا من هذه الأدوات من التراث ولكنها كانت مغيّبة دفينة فكشف عنها شحرور وهي: الاشتقاق، ومنع الترادف، والسياق. وثلاث منها قال إنها «من كيسه» أي من إبداعه الذاتي و»عليها ختمه» وهي: الترتيل، والتقاطع، ويبدو أنه نسي الثالثة.

ويمكن إجمال أهم نقاط فكرة القراءة المعاصرة لا سيما عند محمد شحرور على ما يلي:

١. القرآن كتاب مفتوح ومتاح أمام جميع الناس للنظر فيه وتدبر آياته بغض النظر عن المستوى العلمي لمن يقوم بهذه العملية، وهذا يؤخذ من عدم وجود رجال دين في الإسلام، أو أي سلطة مركزية يمكن الرجوع إليها لتصحيح عملية التدبر والتفسير.

٢. القرآن نص إلهي المصدر ولكنه نص تاريخي، وهو نص متطور فما كان يُناسب واقعاً تاريخياً في زمن مضى فليس بالضرورة أن يناسب هذا العصر، أو العصور اللاحقة، وتدبر أصحاب القراءة المعاصرة في هذا الوقت غير ملزم للناس في الأزمنة القادمة.

٣. يجب الاستفادة من العلوم الحديثة والمخترعات والمُكتشفات العلمية في القراءة المعاصرة.

٤. اللغة ابنة وقتها ولهذا فالنصوص متطورة ومتغيرة.

٥. يدعو شحرور إلى إعادة صياغة جديدة لأصول الفقه. وأخرج كتاباً بعنوان «نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي»

٦. عدم وجود الترادف في اللغة العربية، أو على الأقل في القرآن الكريم. ولذلك قسَّم شحرور القرآن الكريم إلى أقسام: القرآن والسبع المثاني وتفصيل الكتاب، ثم قسم الرسالة وهي آيات التشريع، وهي أم الكتاب والآيات المحكمات، وقال بأن قسم التشريع هذا قابل للتبديل والتغيير حسب الزمان والمكان، ويُفرِّق بين التنزيل والإنزال، وغير ذلك كثير.

٧. يتوسع محمد شحرور في مفهوم (الإسلام) ليدخل فيه اليهود والنصارى والهندوس والبوذيين.

٨. أركان الإسلام المعروفة: الشهادتان والصلاة والصيام والزكاة والحج، غير صحيحة، وأن أركان الإيمان فقط هي الإيمان بالله واليوم الآخر والقيام بالعمل الصالح، والعمل الصالح هو كل عمل مادي ينفع البشرية كالطب والهندسة مثلاً. وقال: «المسلم قد يكون مؤمناً [أي مؤمناً برسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم] وقد لا يكون، أي أن المؤمن بالله واليوم الآخر والعمل الصالح، قد يكون مؤمناً بالرسالة المحمدية وقد لا يكون، لكن لا بد للمؤمن من أن يكون مسلماً أولاً».

أمثلة على أخطاء شحرور

أخطأ شحرور في تفسير آية السماح بتعدد الزوجات، والتي تقول (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا * النساء ٣).

ومن المعروف أم ما عليه المسلمون جميعاً هو إباحة الجمع بين أربع زوجات في وقت واحد، ولم يرد أن عالماً واحداً من علماء المسلمين قال بعدم جواز التعدد. ولكنَّ شحروراً قال: إن الله تعالى لا يسمح فقط بالتعددية سماحاً، بل يأمر بها في الآية أمراً، لكنه يشترط لذلك شرطين: الأول أن تكون الزوجة الثانية والثالثة والرابعة أرملة ذات أولاد، والثاني أن يتحقق الخوف من عدم الإقساط إلى اليتامى، وطبيعي أن يلغى الأمر بالتعددية في حال عدم تحقق الشرطين.

ويؤكد أن إباحة التعدد تكون فقط في حالة الأرامل ذوات القُصَّر المحتاجين للرعاية والتربية، إذ يمكن أن الارتباط بالأرملة بعقد نكاح (لا ترث وليس لها صداق مقابل التزام الرجل برعاية أولادها اليتامى)، على أن تقبل هي ذلك عن طيب نفس وليس اضطرارياً، وألا يشكل ذلك عبئا ماديا على الرجل فلا يتمكن من إعالة العائلتين فيظلم أولاده أو أولادها.

ويضيف: إضافة إلى ذلك فإن الزوجة واحدة،

يربطها بالرجل ميثاق غليظ، وفي حال الفراق تُستَبدل بأخرى لكنهما لا تجمعان، ويجب أن تعلم في حال رغبة زوجها في الارتباط بعقد مع أرملة ذات أيتام ويحق لها طلب الطلاق مع كامل حقوقها في هذه الحالة.

وبرأيه فإن المجتمع يمكنه إقرار العمل بالتعددية أو إلغاؤها وفق ما يجده مناسباً لأفراده، فإذا منعها فتقييد الحلال هو المهمة الأساسية للمؤسسات التشريعية أصلاً، وأيّ قرارات من هذا النوع، سماحاً أو منعاً، لا تحمل الطابع الأبدي.

الخطأ أنه لم يقرأ الآية قراءة متأنية مستوعبة لجميع مفردات الآية، وتغييب ذكر سبب النزول قاده للخطأ، فما هو سبب النزول؟ عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة عن قول الله تعالى (وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى) قالت: يا ابن أختي هذه اليتيمة تكون في حِجر وليها تشركه في ماله ويعجبه مالها وجمالها، فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها (أي يعطيها المهر المناسب لها) فيعطيها مثل ما يعطيها غيره، فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن، ويبلغوا بهن أعلى سنتهن في الصداق، وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن. فنهوا أن ينكحوا من رغبوا في ماله وجماله من يتامى النساء إلا بالقسط، من أجل رغبتهم عنهن إذا كن قليلات المال والجمال فمعنى الآية: كان بعض الناس ممن يرعى يتيمات وأراد الزواج منهن أنقصوا من المهر المناسب لهن، فقال الله تعالى لهم بأنه إن كنتم تتحرجون من نكاح الفتيات اليتيمات لسبب ما، فيمكنكم الزواج من غيرهن من النساء، وهذا معنى قوله تعالى (فانكحوا ما طاب لكم من النساء) فكلمة (ما) هنا تفيد العموم: الفتيات اليتيمات وغيرهن من النساء.

فمن أين جاء بالسماح بالزواج من أمهات اليتيمات؟ والآية لم تحصر السماح بأمهات اليتيمات ولم تشر إلى ذلك لا من قريب ولا من بعيد، ولم يقف الحد عند الزواج من أمهات اليتيمات، بل اشترط أن تكون الأمهات أرامل وذات أولاد ليتم رعاية الأولاد، فظن أن الإقساط لليتامى يكون عن طريق الزواج بأمهاتهم، وفاته أن الإقساط الوارد في الآية هو خوف ظلم أولئك البنات بإنقاص مهرهن.

ومن أين جاء بشرط أنه هذه الأرملة (لا ترث وليس لها صداق مقابل التزام الرجل برعاية أولادها اليتامى، على أن تقبل هي ذلك عن طيب نفس وليس اضطرارياً...إلخ)، أليس هذا تشريعاً لم يقل به الله ورسوله!!

ثم هو يضع أمر التعدد والسماح به أو منعه بيد المجتمع من خلال البرلمان، أليس هذا قيام هيئة تشرّع من دون الله، فكيف يشرّع الله أمراً في القرآن، ثم نحيل إقراره لسلطة بشرية؟!!

مآلات هذا التيار:

نرى أن نهاية هذا التيار إلى زوال فما هو إلا فقاعة صابون للأسباب التالية:

١. لم تكن ولادة هذا التيار طبيعية – إذا افترضنا أنها نتيجة لقراءات فردية غير موجَّهة – بل كانت قفزة عن السير الطبيعي في طلب العلم، وهو الأخذ به من مظانِّه، سواء على يد العلماء المختصين، أو من خلال دراسة كتب (التراث) دراسة متأنية.

٢. ليس عند أتباع هذا التيار قواعد منضبطة لفهم النصوص واستنباط الأحكام منها بطريقة علمية تؤدي إلى نتائج ذات مصداقية.

٣. تقوم القراءة المعاصرة على فَرْض ما يريده قارئ النص من أحكام، ويقوم بلي أعناق النص للتوصل إلى النتيجة التي يريدها كما رأينا في حكم تعدد الزوجات عند شحرور.

٤. يعمد الحداثيون على انتقاء النصوص التي يريدونها ولا يتتبعون كلَّ ما ورد في الموضوع من آيات وأدلة؛ ليتوصلوا لنتيجة تؤيد أحكامهم، ومن ذلك مثلاً يستشهدون بقوله تعالى (تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ*الجاثية٦) للاستدلال على إنكار السنة النبوية، بدعوى أن الله تعالى قَصَرَ الإيمانَ على (حديثه وآياته) والتي تعني القرآن فقط، وغاب عنهم قراءة سياق الآيات وأنها تتحدث عن آيات كونية من اختلاف الليل والنهار وتصريف الرياح للتدليل على وجوده تعالى وقدرته، فكلمة (آياته) في الآية تعني آياته الكونية.

٥. أوجد أصحاب هذا التيار قطيعة بينهم وبين التراث كاملاً، وصار كل ما يمت للماضي بصلة عدواً لهم، لا ينبغي التعامل معه.

٦. هذا التيار شأن الكثير من التيارات الباطنية القديمة كالقرامطة، إلى زوال؛ بعد ذهاب ضجة الاحتفال به من الجهات الموجِّهة له، وحتى يتلاشى سينعزل عن الجماهير كما انعزلت البابية والبهائية التي صنعتها بريطانيا في الهند.

١- محمد سعيد رمضان البوطي: هل القرآن يغني عن السنة؟ ٢٠١٣/٣/١٧
٢- جوزيف مسعد: الإسلام في الليبرالية، ص٢٢٤ نقلاً عن «تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام ٢٠٠٥» ص٢٣
٣- جوزيف مسعد: الإسلام في الليبرالية، ص٢٢٥
حسام الحداد: القرآنيون».. مذهب إنكار السُّنَّة! ٢٠١٨/١٠/٢٤
٤- قرآنيون: من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة
شريف محمد جابر: أدوات شحرور في تدبر القرآن، ٢٠٢٥/١٢/٣١
٥- محمد شحرور: الإسلام والإيمان، ص ٣٨
٦- محمد شحرور: الإسلام والإيمان، ص٣٨و٥٢

فكر وسطي تجديدي

- تجديد الفقه السياسي السني من الرؤى التاريخية إلى الاجتهادات المعاصرة
- جدلية الأمن والسلام المجتمعي في الفكر الديني والسياسي

تجديد الفقه السياسي السني من الرؤى التاريخية إلى الاجتهادات المعاصرة

د. حذيفة عكاش

باحث في الفقه المقارن من سوريا، مدير مؤسسة رؤية للفكر

الناظر في الأطروحات السياسية الإسلامية المنتشرة في الساحة الإسلامية يجدها نوعين رئيسين مع نوع ثالث أحياناً:

النوع الأول: ينادي بعودة الخلافة وتحكيم الفقه السلطاني الإسلامي التاريخي وعدم الانبهار بالغرب ومنظومته المادية وديمقراطيته المزعومة، فالديمقراطية نظام غربي لا نحتاجه وما عندنا من القيم والأحكام والأنظمة السياسية يكفينا..

النوع الثاني: ينادي باقتباس النظام الديمقراطي، لأنه أفضل نظام بشري موجود للحكم رغم ما فيه من نقاط يمكن نقدها وتطويرها، وأنه أقرب نظام للحكم الإسلامي القائم على الشورى والعدل وتحقيق المصلحة..

النوع الثالث: الفريق الثالث يقول: ينبغي ان نجتهد ونُوجِد نظام حكم إسلامي معاصر أكثر كفاءة من النموذجين السابقين..

أما الفريق الثالث فنحن بانتظار اجتهادهم وإمكانية تطبيقه في الواقع..

الإشكال الأساسي:

برأيي إنّ سبب الإشكال الرئيس في نظام الحكم الإسلامي المعاصر المنشود هو الخلط بين الدين والدنيا وعدم التمييز بين القسم الديني من المشروع الإسلامي السياسي وبين الجزء الدنيوي منه.

فالجزء الديني يعتبر ثوابت إلهية يجب الحرص على تطبيقها والأصل فيها (الاتباع)، وإن كان فيها اجتهاد فهو اجتهاد مقيّد في فهم مراد الله ورسوله وليس اجتهاداً مطلقاً.. كل ذلك في ظل واقعنا المعاصر.

والجزء الدنيوي بشري اجتهادي ظني الأصل

فيه (الإبداع) والتطوير، والتغيّر والتحوّل والتجاوز والاقتباس والاستفادة من النافع عند غيرنا.. كل ذلك في ظل تعاليم الإسلام.

وهنا نرى أن الديني يتم تطبيقه على الواقع قدير المستطاع، والواقع يتم تكييفه حسب تعاليم الإسلام حسب المستطاع.

أين المشكلة إذن؟

المشكلة تكمن في عدم تمييز الشأن الدنيوي عن التوجيه الديني، فالشأن السياسي شأن دنيوي، فإدارة الشأن العام في الدولة هو الشأن السياسي وهو أمر دنيوي موجود عند كل الأمم، وفي الإسلام تعاليم وأوامر وأحكام وضوابط تضبط الشأن السياسي وهذه التعاليم هي الجزء الديني.

فيظن البعض الناس أنّ النموذج الدنيوي لنظام الحكم السياسي من مؤسسات وإجراءات وآليات وأدوات ونظم وإداريات التي كانت سائدة في العصور السابقة هي أوامر الإسلام وتوجيهاته وهي النموذج الإسلامي المطلوب من الله تعالى، بينما الفقيه يميّز بين

الجزء الدنيوي الذي هو من تصرفات البشر واجتهاداتهم في تطوير حياتهم الدنيوية وبين تعاليم الإسلام التي يراعونها عند تطوير حياتهم الدنيوية حتى تكون حياتهم وفق أوامر الله وتعاليمه.. فيظن بعض الناس أن ذلك الترتيب الإداري الدنيوي هو النموذج الإسلامي المطلوب، بينما يمكننا توليد عشرات النماذج الدنيوية التي تراعي تعاليم الإسلام في نظام الحكم.

وهنا من الجدير العودة للإجابة عن سؤال مبدئي بهذا الموضوع وهو:

هل هناك نظام حكم سياسيّ في الإسلام؟

هناك إجابتان:

الإجابة الأولى:

نعم هناك نظام حكم إسلاميّ، وهو نظام تفصيليّ، وقد تمّ تطبيقه في تاريخنا عبر الدول التي كانت تسمّى: الخلافة الإسلاميّة.

أصحاب هذا القول يجعلون هذا التطبيق التاريخيّ ديناً، فنحن ملزمون بذلك الشكل التاريخيّ، الذي اجتهد فيه المسلمون لإنشاء ذلك النظام، والحقيقة أنّ ذلك نظام بَشَرِيّ استفدناه من الخبرة البشريّة المنتشرة في ذلك الوقت، وهي الأنظمة الملكيّة الإمبراطوريّة.

فكانت أنظمة الحكم السائدة في العالم في ذلك الوقت أنظمة ملكيّة إمبراطوريّة، ونحن طبقنا ذلك النظام مثلها، طبعاً مع تميّزنا بتطبيق الأحكام الإسلاميّة -قدر الإمكان- فهذا هو نظام الخلافة.

وهذا من حيث الشكل: نظام بشريّ، فالبشر هم من اخترعوه وطبّقوه كنظام إداريّ لحكم البلاد.

هذا الجواب الأوّل عن سؤال: (هل هناك نظام حكم سياسيّ في الإسلام؟) وقد نقدت هذا القول بخمس حلقات في برنامجي بصراحة أولها (عيوب نظام الخلافة التاريخية) وآخرها (كيف نستعيد الخلافة) المنشور على اليوتيوب تحت عنوان: بصراحة، وتفريغه النصيّ منشور في كتاب يحمل نفس العنوان.

الجواب الثاني عن سؤال: (هل هناك نظام حكم سياسيّ في الإسلام؟) الجواب الثاني يقوله العلمانيّون: حيث يقولون: لا يوجد نظام حكم سياسيّ إسلاميّ، فالإسلام ليس فيه تعاليم خاصّة بالسياسة، لأنّه دين روحيّ، دين أخلاقيّ، دين تزكية وتربية وقيم، لا علاقة له بالشأن السياسيّ. (هذا هو الجواب الثاني)

ونحن: لسنا مع الفريقين السابقين لسنا مع من يقول: إنّ نظام الخلافة بشكله التاريخيّ هو النظام الوحيد الذي يجب علينا تقليده، واستنساخه في زماننا.

فشكل نظام الحكم سواء سمّيناه: (الخلافة أو الملك أو الإمبراطوريّة أو الجمهوريّة أو الدولة الحديثة.. أو أيّ اسم آخر)، هذه كلّها أنظمة وترتيبات من صنع البشر..

البشريّة هي من طوّرت هذه الأشكال، وما زالت تطوّرها، وكلّ دولة لها خصوصيّاتها في تلك الأنظمة.

وكذلك لسنا مع العلمانيّين الذين يقولون: ليس هناك نظام حكم في الإسلام، فالدين لا علاقة له بالسياسة وفق رؤيتهم.

لسنا مع من يقول هذا الكلام.. فالإسلام جاء لينظّم شؤون حياتنا كلّها، والسياسة جزء من هذه الحياة، فلا يمكن أن يهملها الإسلام.

فالسياسة شأن دنيويّ، كما قال ذلك الصحابة في سقيفة بني ساعدة عندما كانوا يتشاورون في شأن من يخلف رسول الله؟ قالوا عن أبي بكر رضي الله عنه: رضيه رسول الله ﷺ لديننا أفلا نرضاه لدنيانا؟

دعونا ننتبه لكلمة (لدنيانا) فموضوع إدارة الشأن العام والحكم السياسيّ شأن دنيويّ.

والإسلام جاء بأحكام وتوجيهات لشؤوننا الدنيويّة كلّها..

فتعاليم الإسلام نوعان: النوع الأوّل قيم إجماليّة وعامّة..

والنوع الثاني: أحكام تفصيليّة..

وذلك بحسب طبيعة الأمر، فإن كان الأمر ثابتاً لا يتغيّر عبر الزمان والمكان، جاءت الأحكام الإسلاميّة فيه مفصّلة: مثل مسائل العقيدة والعبادات والزواج والطلاق والميراث.. هذه الأمور لا تتغيّر عبر الزمان والمكان، فجاءت فيه الأحكام تفصيليّة.

أما ما كان يتغيّر عبر الزمان والمكان مثل أنظمة الحكم وإدارة الشأن العامّ الذي يتطوّر من مكان إلى مكان، ومن زمان إلى زمان، فهذه جاء فيها الإسلام بمبادئ عامّة، وهذا من حكمة الله سبحانه وتعالى؛ فجاء بهدايات ومبادئ وقواعد كلّيّة حاكمة، وتوجيهات وقيم عامّة ملزِمة.

فلو جاء بنظام تفصيليّ يناسب البيئة العربيّة القبليّة البسيطة في زمن تنزيل الشريعة، كيف سيناسب ذلك النظام البسيط دولة كبيرة معقّدة مترامية الأطراف في عصرنا؟ مثال ذلك من يأتي بثوب صغير جداً ليلبسه رجل كبير!

وبالمقابل لو جاء بنظام تفصيليّ لدولة مترامية الأطراف معقّدة التركيبة الاجتماعيّة منذ نزوله من عند الله تعالى، كيف سيصلح هذا النظام المعقّد لبيئة بسيطة ودولة صغيرة؟ مثال ذلك كالذي يأتي بثوب كبير ليُلْبِسه طفلاً صغيراً.

أو كالذي سيطبّق نظاماً إداريّاً لشركة كبيرة متعدّدة الجنسيّات، عابرة للقارات، سيطبّق هذا النظام الإداريّ المعقّد على شركة صغيرة لا يتجاوز موظفوها العشرين..

فمن حكمة الباري أنّه حدّد لنا مبادئ وأحكاماً عامّة صالحة لكلّ زمان ومكان، من التزمها يكون قد التزم بتعاليم الإسلام في نظام حكم الدول والجماعات، ولم يأتنا بنظام مفصّل وجاهز، فلو ناسب زماناً قد لا يناسب آخر.

قد يقول أحد العلمانيّين: لا يوجد تعاليم سياسيّة في الإسلام، وأنت تزعم ذلك، هات أعطنا أمثلة؟

نقول: مثل: الشورى (وأمرهم شورى بينهم).

مثل: العدل (وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ).

مثل: الإحسان (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ).

مثل: الحكم بما أنزل الله، والردّ إلى الله ورسوله عند التنازع.

مثل: طاعة أولياء الأمر بالمعروف.

مثل: لزوم الجماعة، ووجوب الوفاء بالعهود، وأداء الأمانات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصح لأئمّة المسلمين وعامّتهم، ومراقبتهم ومحاسبتهم، وتولية الأكفاء وفصل المال العالم عن الخاص وسيادة القانون على الجميع.

والحفاظ على أديان الناس وحرّيّاتهم، ونفوسهم وصحّتهم وأموالهم وأعراضهم وسمعتهم وكرامتهم وتعليمهم ورعاية أولادهم، وحفظ أموال الناس، وتحقيق العدالة الاجتماعيّة.

ومثل النهي عن الظلم، وعن غشّ الرعيّة، وعن الاحتجاب دون الناس، والنهي عن أكل أموال الناس بالباطل، والنهي عن الخيانة، وعن اتباع الهوى، والنهي عن الظلم والشطط في استخدام السلطة.

وأوجب على الحاكم أن يتصرّف بحسب مصلحة العباد والبلاد، بمراعاة مصلحة المواطنين والدولة، هذه المبادئ العامّة الملزمة في كلّ زمان ومكان، وهي مقوّمات الحكم الرشيد الذي يجب تحقيقه بأقصى المستطاع.

هذه هي القيم والمبادئ التي يجب الالتزام بها في الإسلام، ويجب تطوير آليّات ومؤسّسات لتطبيقها وتجسيدها على الأرض.

هذه المبادئ العامّة من التزم بها واقترب منها، وحقّق فيها أقصى الدرجات فـ (لا يكلّف الله نفساً إلا وُسْعَها) كانت هذه الدولة، وهذه الحكومة ملتزمة بتعاليم الإسلام، وكلّما ابتعدتَ عن تطبيق هذه الأحكام، تكون قد ابتعدتَ عن تعاليم الإسلام.

كما قال الإمام ابن تيمية رحمه الله في كتابه السياسة الشرعية: «فإنّ مدار الشريعة على قوله تعالى: ((فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ)) [التغابن: ١٦]، المفسّر لقوله ((اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ)) [آل عمران: ١٠٢] وعلى قول النبي ﷺ ((إذا أمرتكم بأمر فاتوا منه ما استطعتم)) أخرجاه في الصحيحين، وعلى أن الواجب تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، فإذا تعارضت كان تحصيل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما، ودفع أعظم المفسدتين مع احتمال أدناهما هو المشروع»

والخلاصة: نحن لسنا مع العلمانيّين الذين يقولون: الإسلام لا شأن له بالسياسة، ولسنا مع بعض الإسلاميّين الذين يجعلون التجربة البشريّة السياسيّة التاريخيّة للمسلمين، هذه هي التجربة الدينيّة السياسية الوحيدة التي ينبغي تقليدها.

فأولئك الإسلاميّون جعلوا التاريخ ديناً واجب التقليد، والعلمانيّون جعلوا الدين تاريخاً تجاوزه الزمن، ولا علاقة له بالسياسة.

ونحن مع الذين يقولون: هناك قواعد عامّة وأحكام ضابطة للشأن السياسيّ، أمّا شكل نظام الحكم فيخضع للشكل الذي يراه البشر يناسبهم ويطورونه كلما تطورت الحياة وأتت بوسائل وأدوات واختراعات جديدة.

الكتب التراثية:

ماذا عن الكتب التراثية التي تحدثت عن السياسية ونظام الحكم في الإسلام؟

مشكلة أغلب تلك الكتب أنها كتبت في ظل حكم غلب عليه الوراثة على الحكم أو التغلب في انتزاع الحكم وليس حكم شوري راشد، فالآفاق والواقع الذي كُتب فيه ذلك الفقه آفاق صعبة وواقع لا يتطابق مع قيم الإسلام السياسية المنشودة، لكن وللإنصاف في عصرنا هذا كتبت كتب كثيرة بهذا الجانب الهام وهو الفقه السياسي، وبما يناسب عصرنا أكثر من الكتب القديمة، لأنهم كتبوا لواقعهم ومؤلفونا المعاصرين كتبوا

لزماننا، وإن كان كثير من الكتاب المعاصرين كرّروا ما عند القدماء، الذي كُتِب لواقع غير واقعنا، لهذا ينبغي التمييز في الكتب المعاصرة بين الكتب التي تناسب عصرنا وواقعنا، وبين الكتب التي كرّرت ما في الكتب القديمة!.

اتجاهات غير ناضجة في الفقه السياسي

يذكر شيخنا القرضاوي رحمه الله ثلاثة اتجاهات غير ناضجة في الفقه السياسي وهي لا تخفى على من يتأمل واقع بعض الأطروحات الإسلامية، وهي ظواهر تعيق نضوج الفقه السياسي الراشد والتي يجب معالجتها ومن هذه الاتجاهات السلبية:

١-فقه المحنة:

ظهر هذا الفكر في الخمسينيات والستينيات حين تعرّضت الحركة الإسلامية لمحن قاسية وضربات عنيفة، كان فكرًا حيًّا متحركًا يحمل حرارة المعاناة وصدق النية، لكنه اتجه إلى تكفير المجتمع، ورؤية العالم بمنظار أسود قاتم، فعزل دعاته عن الناس وشعروا بالاستعلاء عليهم، إن على الحركة أن تتجاوز هذا «فقه المحنة» إلى «فقه العافية»، الذي يتعامل مع الناس والعالم برحمةٍ وسعةٍ وبصيرةٍ سننيةٍ، لا بعين العزلة والقطيعة.

٢-الفقه الظاهري الجديد:

ومن الظواهر المنتشرة أيضًا ما يسمى بـ «الظاهريين الجدد»، وهم الذين يقفون عند حرفية النصوص دون النفاذ إلى مقاصدها أو مراعاة مصالح الخلق، وقد قرر المحققون -ومنهم ابن القيم- أن الشريعة كلّها عدل ورحمة ومصلحة وحكمة، وأن أي حكم خرج عن هذه المعاني فليس من الشريعة في شيء، وإن أُدخل فيها بتأويل فاسد.

وإن كان هذا الأسلوب الظاهري من الفقه مقبولًا في بعض العبادات الفردية، فإنه لا يصلح في الفقه السياسي الذي يتعامل مع المسلم والكافر، ومع الشرق والغرب، وفي حالتي القوة والضعف، والذي ينبغي أن يقوم على السعة والمرونة، والموازنة والترجيح، ومراعاة تغير الزمان والمكان والإنسان.

٣-الفقه التقليدي الجامد:

ومن الظواهر التي تعيق التجديد: الفقه التقليدي الذي لا يبحث عن حلول الواقع إلا في كتب المتأخرين من مذهبه، دون أن ينظر إلى تغيرات العصر ومشكلاته وسعة الشريعة ومقاصدها الكبرى، فهو يحجر ما وسّع الله، ويضيّق ما جعله الدين يسيرًا، فهو أسير القوالب القديمة، غير قادر على التعامل مع التحديات الجديدة.

نحو فقه سياسي رشيد:

إن الحركات الإسلامية لن تبلغ فقهًا سياسيًا راشدًا ناضجًا إلا إذا تجاوزت هذه الظواهر السلبية ورواسبها في عقول رجالها ومناهجها، فالفقه السياسي المنشود يجب ألا يبقى أسير اجتهادات قد تناسب واقعاً تاريخياً سابقاً أو تبنته جماعة تغيير ما وظنت أنها من خلاله ستصل لمرادها، فالذي نحتاجه فقهاً سياسياً يقيم دولاً محترمة وحضارات راشدة، ينطلق من محكمات الشريعة من جهة ويناسب الواقع المعاصر من جهة أخرى، فقه سياسي رشيد يعبّر عن روح الإسلام.

المنهج المنشود في الفقه السياسي المعاصر:

المهم في هذه الدراسات أن تتكامل، وأن تؤسس على منهج علمي سليم، يقوم على أساسين:

الأول: الرجوع إلى الأصول الشرعية وإلى أخذ الأحكام من ينابيعها الصافية من كتاب وسنة، مع الاستفادة من تراث الفقه الإسلامي بكل مدارسه ومذاهبه.

الثاني: النظر للواقع المعاصر، والعمل على إسقاط وتنزيل تلك الأصول والمبادئ الشرعية على واقعنا المعاصر، وعلاج مشكلاته من صيدلية الشريعة، فإن من المؤكد أن الشريعة لا تهمل الواقع، والفقيه الحق – كما قال ابن القيم – من يزاوج بين الواجب والواقع، وقد حفظنا عن علمائنا المحققين: أن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والحال.

ولا نريد أن نحرّف الإسلام ليتفق مع الواقع المعاصر ولا نريد بالمقابل سحب واقع قديم وتكراره في عصرنا فهذا فضلاً عن أنه غير ممكن ومستحيل، فإن هذا غير مراد لله تعالى! فمراد الله تعالى الالتزام بهداياته في المجال السياسي لا تكرار الواقع الذي نزلت عليه هداياته، فالواقع متغير بشكل مستمر لا يتوقف.

إذن نحن نريد أن نفهم النصوص الجزئية في إطار المقاصد الكلية، وأن نفرق بين الأحكام الدائمة والأحكام الوقتية، وبين ما قاله الرسول أو فعله إماماً من باب السياسة الشرعية الملائمة لزمنه وبيئته وظروف قومه، وما قاله أو فعله ليكون شرعًا عامًا ودائما للأمة إلى يوم القيامة، وهذا يحتاج إلى تحر شديد، ونظر رشيد.

وكذلك ما قاله أو فعله الصحابة والخلفاء الراشدون من باب أولى، لا بد لنا أن نفهمه على هذا النحو، وفي ضوء ظروفه وملابساته، ولا نخلط بين الأحكام الثابتة والسياسات المتغيرة.

إن هذا الفقه الراشد البصير هو الذي يجعل شريعتنا قادرة على الوفاء بحاجات مجتمعاتنا المعاصرة.

جدلية الأمن والسلام المجتمعي في الفكر الديني والسياسي

شيروان شميراني

كاتب وباحث في الحريات الدينية من كردستان العراق

ليس القصد هنا الدخول في التعاريف الأكاديمية للمفردتين الأمن والسلام، وإنما الحديث عنهما والترابط الوثيق غير القابل للإنفصال، فهما مفهومان شاملان لا يقتصران على مجال من مجالات الحياة العامة أو الشخصية.

الأمن هو في مجالات الحياة الفكرية والنفسية والاقتصادية والسياسية...والسلام في مراحل الحياة يبدأ من داخل الإنسان من الضمير، ثم الأسرة والمجتمع والعالم.. وهذه الأنواع والمراحل متداخلتان مختلطتان..

أولاً: – العلاقة بينهما

العلاقة بينهما علاقة وصل وفصل، بمعنى أنهما لا ينفصلان لكن بينهما اختلاف في الجانب النظري، فهي علاقة تكاملية، إذا وجد أحدهما حضر الآخر وإذا غاب غادر الحاضر، ومن أجل التوضيح يمكن أن نضرب المثل هنا بالعلاقة بين الأمن والحرية، الحرية بكل مجالاتها الوجودية والفكرية والدينية والعبادات والرأي واللباس والثقافة الشعبية من اللغة والتقاليد والمناسبات التاريخية والشخصية الإعتبارية والجهر بكل ذلك، أي تجسيدها على أرض الواقع، إن الإقرار العملي بهذه القضايا يعطي الشعور بالأمان وبالتالي العيش بسلام داخلي ينعكس إيجاباً على سلام المجتمع والدولة، وغيابها يجعل المحروم بانتظار اللحظة حتى ينقض لنيل ما يراه من الحقوق الفطرية المخلوقة مع الإنسان المسلوبة منه:–

كما هو الحال مع الربيع العربي الذي ضرب أنظمة كانت مستعصية على العلاج، لأن الدولة لما حاول تثبيت الأمن عبر الحرمان من الحقوق ومن ثم اللجوء إلى القوة الصلبة لفرضها حصل الإنفجار وإلى الآن غاب الأمن ودخلت المنطقة في حالة اللاسلام. واستغل البعض الوضع

الدولي في ما يسمى بمحاربة الإرهاب لممارسة المزيد من القمع الداخلي، بذريعة حماية الأمن بما أثر على الحريات العامة. وذات ما حصل في العراق في المناطق الغربية لما لجأت الدولة الى تصفيات تاريخية عبر الممارسات الأمنية الفجّة، انفجر الناس عندما تأكدوا بأن الإقصاء هو نصيبهم، انفجروا في تظاهرات واسعة وتهيأت البيئة المناسبة لداعش، وقضى على السلام داخل المجتمع الواحد، وأصبحت التصرفات غير المشروعة قانوناً مشروعة بحجة البقاء ويعطي كل طرف لنفسه إن كان شخصية كبيرة أو عرقه إن كانت المشكلة إثنية، وطائفته إن كانت دينية، أو دولته إن كان صاحب سلطة على الصالح العام والوئام المجتمعي...لأنه لن يبقى معنىً للأمن السياسي العام في ظل ظروف يغيب فيها أمن كينونة الإنسان والشعور بالوجود الطبيعي.

وهذه من مشاكل الدولة الوطنية القطرية، خاصة مما لها بنية هشة غير متوازنة، يقول أحمد داود وغلو : «وفي ظل ظرف تتعرض فيه الدولة الوطنية لمثل هذه التقلبات يبرز أمام المواطنين الذين يرون أن حرياتهم وأمنَهم وبالتالي وجودَهم وكرامَتهم تحت التهديد: إما أن يلجؤوا إلى هوية فرعية تؤمن لهم الأمن، كالعرق..الطائفة..أو العشيرة وينتظموا فيها..أو ان يهربوا من أوطانهم إلى دول بصفتهم لاجئين يرون أنها تحقق لهم الأمن والحرية»، «وليس شرط أن تكون الأقلية وقد تكون الأغلبية تذهب الى الإنفصال عن الإنتماء السياسي أو حتى التمرّد عليه»..

ثانياً: – الحلول

الكثيرون ممن لهم من الدولة شيء، دائما يلجأون من اجل توفير الأمن والسلام داخل المجتمع الى القوة الصلبة، وسحق كل مختلف من كل لون، وهذا خطأ لا يمكن للقوة الصلبة من قوة المؤسسات أو القوة الضاربة أن تأتي بالسلام الدائم، فالسلام كما نعلم انه يبدأ من الضمير من الداخل الإنساني، حالة وجودية، قد يسكت لكن ليس الى الأبد، والقلق والإضطراب المجتمعي ينفجر بين فرصة وأخرى في صور من العنف الدموي. كما أن نوع وطبيعة النظام لا تكفي.

وبقدر ما يمكننا الكلام نذكر ثلاثة أمور كطريق الى الحلّ الدائم وتوفير السلام الاجتماعي: –

١.الاعتماد على القيم الأساسية وتوفيرها، والقيم أهم من نوع النظام الحاكم، منها قيم:

الحرية، الأخوة، العدالة والمساواة، الحرية كما قلنا لابدّ من الأداء التكاملي بين الحرية والأمن السياسي والإجتماعي، أي أمن الدولة وأمن المجتمع، لأن الأمنين لابد منهما لقيام

حياة العباد، بحيث إذا اختل يختل نظام الحياة وتعم الفوضى والإضطراب، والأمن الاجتماعي يتحقق من خلال التنظيمات والتشريعات العادلة تحقق المساواة والتكامل والتعاون، إن الأمن للجميع والمساواة للجميع في الحقوق والواجبات من موجبات الأمن السياسي والأمن المجتمعي وذلك من واجبات الدولة.

أما قيمتي العدالة والمساواة فهما اللتان تؤسسان للأخوة بين أفراد الشعب وليس العنصرية العِرقية..، وبدونهما لن تكون هناك أخوة، وإنما الفراق بين أبناء المجتمع، وكثيراً ما يتحدث الإمام سعيد النورسي عن الأخوة نظراً للأجواء القاتمة التي كان يمرّ بها، لكن ينبغي للأخوة من منظوره أن تقوم على العدالة والمساوة، وهويجعل العدل مقصِداً من المقاصد الأربعة للقرآن الكريم، إلى جانب وجود الله ووحدانيته والنبوة والحشر.

٢.التعايش، والتعايش في معناه البسيط هو قبول الآخر كما هو، التعايش وليس التعصب الديني والطائفي أو الفكري والسياسي.. أنظروا الآن كم من الحروب شنت نتيجة هذا الوباء؟ ومن مكونات المجتمع تضاربت جرّاء هذا الدّاء، الفيروس الذي يأكل جسد المجتمع ويحرقه بهدوء...وإذا كان إزدهارالحياة من الغايات الأساسية فلا إزدهاربغياب الأمن ولا تعايش بغياب الأمن النفسي، ولا امن إذا التعايش داخل الشعب.

ومن أجل توفير التعايش هذا لابدّ من التربية الفكرية والسلوكية...التربية الفكرية لتنقية العقول من التشدد والمغالاة في أي مجال كان، ليس المجال الديني فحسب وإنما الراديكالية العلمانية أو اللائكية أيضاً مما يسبب التحارب الداخلي، خاصة إذا جردت من القيم الأساسية التي ذكرناها. وتنقيتها من العنصرية الاثنية والتعصب المذهبي والطائفي. والحق أن المجتمعات المسلمة إلى الآن لم تنجح في هذا الإمتحان.

وبحاجة الى التربية السلوكية، الأناقة في التعامل، والهروب من البذاءة في الحديث مع المخالف، بغيابه أو بحضوره، خاصة عند أهل الدين الّذين يرون الفضاضة تقرباً إلى الله. ويتعاملون مع المخالف من منطلق ديني عقدي فقط، والصحيح أن التعامل والتواصل بين البشر لا يقوم على الجانب العقدي لوحده، وإنما على حسن الخلق والجيرة والرحمة والإحسان إلى الناس كلهم. بكلمة أخرى الإنتقال من ثقافة التعنيف إلى ثقافة الرفق والتأليف.

٣.تطوير الفكر السياسي، والدخول في العالم الحديث في الحكم والإدارة، وهنا بما أن العديد من الدول تدعي الإعتماد على الإسلام في الحكم، نبين أن:

لا يوجد في الإسلام نظام محدد للحكم، جعل الإسلام نظام الحكم وآلياته وهيكليته من الأمور الإجتهادية بما يحقق مصالح الناس والحياة

الهادئة المريحة، أو منطقة الفراغ التشريعي، الإسلام حدّد مباديء ومقاصِد ينبغي لها التحقق في واقع حياة الناس، أما الوسيلة والهيكل متروك للعقل البشري يتحرك كما يشاء.

لكن مع الأسف تعاملت معها جماعات العنف بعقلية جامدة، ومعها التقليديون.. يريدون نظاماً للحكم كالذي سطره الماوردي الذي لا يتجاوز كونه اجتهاداً بشرياً كتب لتصوير وتسويغ أنظمة الحكم في حينه، وليس هو الممثل الوحيد لنظام الحكم في الإسلام...

هنا ومن أجل معالجة المشاكل الموروثة من الأنظمة الظالمة لابد من الاستفادة من المعرفة البشرية وما توصل اليه العقل المعاصر في هذا المجال.

الاستبداد يدفع الناس الى التمرّد ويستسهلون الموت... أي الى الحرب المواجهة المباشرة وغير المباشرة، وعند الحرب لا أمن ولا سلام، ولا عمران ولا ازدهار..

أخلاقيات وتربويات

_ كيف يحافظ المسلم على توازنه الإيماني وسط طغيان النزعة المادية؟!

_ رمضان وتحرير القلب من الشاشة

كيف يحافظ المسلم على توازنه الإيماني وسط طغيان النزعة المادية؟!

د. عبد الله فرج الله
أكاديمي وكاتب أردني

يعيش المسلم اليوم في زمن تسيطر عليه النزعة المادية، ويتعاظم فيه طغيان الحياة، حتى ملكت على إنسان هذا العصر عقله وفكره وجهده وجهاده، وكل مفاصل حياته، كيف لا، وقد أصبحت الدنيا بما فيها هي الميزان الذي يوزن فيه المرء، فيحكم عليه من خلال موازينها ومعاييرها نجاحاً أو فشلاً، ويأخذ مكانته كقيمة اجتماعية بناء على أسسها، التي تتمحور حول ما يملكه من ثرواتها، أو يشغله من وظائفها، أو ما يتبوأه من مقاماتها.

زمن احتل فيه المظهر المادي محل الجوهر الروحي الحقيقي، فقد غابت أو شبه غابت فيه المعاني الروحية والقيم الأخلاقية، أو قل تراجعت فيه مكانتها كثيراً، حتى أصبحت على هامش المشهد الحياتي، وكثيراً ما –يقلل من مكانتها وأهميتها، وربما استهزئ بمن يحاول التمسك بها، ومعنى أن يتمسك بها، بأنه سيبقى على هامش الحياة، وهنا يكمن التحدي، ويتعاظم الصراع الداخلي، بين الحق والباطل، بين الفضيلة والرذيلة، فإما أن تقبل بالرشوة مثلاً، والتي سيعطيها المجتمع المادي لبوساً جديداً، يخفف من حدة مسماها البشع، الرشوة، إنها مجرد هدية، تستعين بها على قضاء حوائجك، وتحقق بها بعض متطلبات أهلك، ثم تتابع المواعظ الشيطانية، لا تعقد الأمور، ولا تكن صعباً، الحياة بحاجة لمرونة و «لحلحة».

في زمن كهذا تزداد التحديات، وتكثر العقبات، وتتعقد المسائل، في وجه السالك الذي يرجو الله واليوم الآخر.

بيان وتنويه:

ما يوجب التنويه به أن الإسلام دين شمولي، لم يأت ليقطع الإنسان عن حياته الدنيوية، ويجعله وقفاً وحكراً على حياته الأخروية، بل

جاء ليحدث توازناً بينهما، ويجعل الحياة الدنيا تمهيداً للآخرة، فجعل لكل منهما نصيباً في حياة الإنسان، وعلى الإنسان أن لا ينسى نصيبه من أي منهما، فإن طلب الآخرة لا يكون بالانقطاع الكامل عن الدنيا، ولا يكون طلب الدنيا بالتخلي عن الآخرة، فهناك مساحة مشتركة بينهما تركها الإسلام للإنسان، يعيشها فيظفر بالاثنتين معاً.

فلم يحرم الإسلام على الإنسان أن يستمتع بحياته الدنيا، وأن يعيش حياته بكل تفاصيلها، لكن ضمن الحدود الشرعية التي رسمها له هذا الدين، فديننا الإسلامي متصالح مع الحياة الدنيا، لا بل أكثر من ذلك إنه يدعوك لإحيائها وتعميرها، وقد جعلك خليفة الله فيها، لكن وفق القانون الرباني الذي ينظم علاقات الإنسان بحياته الدنيوية، التي تضبط سلوكه وتوجهه الوجهة الصحيحة، بحيث تبقى هذه الحياة بكل ما فيها من مادة، موضع الوسيلة لا الغاية، وتتيح للروح البقاء بقوة في حياته، وتوجه سلوكه، وتضبط تصرفاته.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى، فإن سعي الإنسان لتحسين مستواه المعيشي، واكتساب الرزق الحلال، الذي يكفيه مؤونة المعيشة، ويسد حاجاته، أمر فطري لا غبار عليه من الناحية الشرعية، لا بل حتى وإن امتلك واغتنى وزادت ثروته، وهذا الأمر الفطري لا يسمى نزعة مادية، ولكنه يصبح نزعة مادية في الوقت الذي تصبح فيه المادة هي الأصل، وتتحول من وسيلة للعيش إلى هدف وغاية، تنقلب القيم في ظلها إلى سلع، خاضعة للتقييم المادي، والعلاقات إلى مصالح، وتصبح الممتلكات المادية هي الميزان الذي يقاس فيه الإنسان.

الآثار المترتبة على النزعة المادية:

النزعة المادية أحدثت في حياتنا ندوباً بارزة، وجروحاً غائرة في الروح، فقد اغتالت الروح، حتى أهزلتها هزالاً شديداً، وأحالتها أَمَةً خادمة للجسد، الذي تحول في غيابها، أو قل في حالة هزالها وضعفها إلى وحش كاسر، وفريسة للطمع والجشع، تسيطر عليه حاجاته المادية، من ملبس ومأكل ومسكن ومركب، وشهوات ليس لها حد تقف عنده، نعم النزعة المادية غرست في النفوس الشك المطلق، والتنافس الشديد على توسيع نطاق الممتلكات، والحسد القبيح في تمني زوال النعم عن الآخرين، والتسابق في تحقيق أعلى صور المظاهر البراقة الخداعة في مناسباتنا وحياتنا، حولت عيوننا إلى رادارات تلتقط ما عند الآخرين من ممتلكات، وما حققوه من نجاحات، وما فعلوه في المناسبات، وما قدموه في اللقاءات، أثاث منازلهم يبهر عيوننا في الزيارات، ولباس أولادهم يخضع للمقارنات، يا الله، كم تفعل بنا النزعة المادية، كم تنزع من نفوسنا الرضا والقناعة، وتسهل سبل السيطرة علينا للنفس الطماعة، وكم تحملنا من الهموم، وكم تثقل قلوبنا بقلق دائم، وتنافس محموم، يأتي

على أخضر قيمنا الأخلاقية ويابسها، فيجعلها قفراً يباباً، لا تمسك ماءً، ولا تنبت زرعاً.

تحولت بسببها عباداتنا إلى أحمال ثقيلة، نؤديها بتكاسل، وتباطؤ شديد، لا تترك في نفوسنا أثراً، ولا في قلوبنا طمأنينة، ولا سلوكاً استقامة، غدت عباداتنا وطاعاتنا في ظل سيطرة النزعة المادية إلى عادات، وصلواتنا إلى حركات، وعلاقاتنا إلى مجاملات قائمة على النفاق والرياء.

باختصار شديد، إن النزعة المادية إن تمكنت من مجتمع نزعت عنه حياته الهادئة الوادعة الآمنة، القائمة على التكامل والتكافل والرعاية والاحترام والتقدير.

السبيل للخروج من مأزق النزعة المادية:

السبيل يتجلى في كتاب الله تعالى، الذي إن أحسنا التواصل معه، وكان حالنا معه حسناً، وداومنا على ورود نبعه، ونهلنا من معينه، وتفيأنا ظلاله الوارفة، وتمثلنا أوامره ونواهيه، واستوعبنا توجيهاته وقواعده، استقامت حياتنا، لأنه ما كان إلا لحياة مستقيمة، منسجمة مع الفطرة التي فطرنا عليها، فيه من القواعد التي تحدث توازناً جميلاً بين مكونات هذا الإنسان، توازن بين الروح والجسد، وتراوح بينهما باعتدال، بحيث لا يطغى جانب على آخر، إلا أن الانحياز في كل ذلك يكون للروح، التي يسمو بها الإنسان، مكانة ومقاماً، الروح التي أحالت هذا التراب إلى جسد، وهذا الجماد إلى حركة، وبثت فيه الأحاسيس والمشاعر، جاء القرآن دستوراً يحدد المفاهيم، ويقيم الموازين بالقسط والعدل، فكان للنفوس شفاءً، وللحياة رحمةً وللجروح بلسماً (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ) وكان للقلوب طمأنينةً « الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ»، وحذر المعرضين الغافلين، من مصير الشقاء والضنك ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ [طه: ١٢٤، وفي الوقت نفسه وضح سبيل الهداية، الذي يحميك من الضلال والشقاء ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾.

باختصار ما ضل من أحسن علاقته بكتاب الله، وجعله لحياته هادياً، واتخذه منهاجاً وموجهاً ومرشداً، يصدق فيه وعد الله، ويحذر فيه من وعيد الله، ويقف باستسلام منتهياً عند نواهيه، مستسلماً لأوامره، متمثلاً قول الله تعالى فيه: ﴿ مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]

وإذا أتيحت لك فرصة تأمل قول الله تعالى: «وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا» علمت يا سيدي السائر إلى الله أن الأصل في مسيرك في هذه الحياة الدينا،

هي ابتغاء الدار الآخرة، وهذا لا يعني بأي حال من الأحوال الزهد في الحياة الدنيا، بل يعني أن تعطي للدنيا حجمها الذي تستحقه، فلا تضخم أمرها، ولا تعظم شأنها، ولا تهجر بسببها، ولا تقاطع لحاجة من حاجاتها، ولا تحزن لفقدها، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى مهمة أن تعمل على تسخيرها وتوظيف ما سخر لك فيها في سبيل الدار الآخرة، كيف تنال فيها المزيد من الحسنات، وتحقق بها أعلى الدرجات.

فن تعدد النيات وتصحيحها:

وهنا أدلك على فن عظيم إن أتقنته، واستحضرته في كل حركاتك وسكناتك، تحولت حياتك كلها إلى منجم عظيم للحسنات، فبه تتحول الشهوات إلى طاعات، والعادات إلى عبادات، ولعلك تظفر بالعمل الواحد تستحضر فيه عدة نيات، فتنال أجرها جميعاً، وإن انحصر في واحد منها، فنية المؤمن خير من عمله، لأن النية لا يدخلها فساد، والعمل قد يدخله الفساد، ومجرد أن تهم بالعمل الصالح يكتب لك، ف «من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة».

فن تعدد النيات، فنٌ أتقنه سلفنا الصالح رضي الله عنهم، حين كان أحدهم إذا هم بعمل، استحضر له نيات متعددة، وبذا تتعدد أبواب الحسنات، فإن طرق بابه طارقٌ، فتحه بنية إن كان سائلاً أن يعطيه، وإن كان ذا حاجة أن يقضي حاجته، وإن كان ضيفاً أن يكرمه، وإن كان ابن سبيل أن يأويه، وهكذا.

وفي زمن طغيان النزعة المادية، فإن هذا الفن يلعب دوراً مهماً، في تصحيح المسار، وضبط السلوك، وتزكية النفس، وعلو الهمة،

كما أنه من أهم الوسائل التي تعينك على إحداث التوازن الإيماني في كل أعمالك الدنيوية، فحين تنوي بعملك الكسب الحلال، وإعفاف نفسك وأهلك، وخدمة مجتمعك، يتحول العمل إلى عبادة، ويزول التعارض بين الدين والدنيا.

القرين.. العقوبة:

إذا أتيحت لك الفرصة للتأمل في قوله تعالى:» وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ [الزخرف:٣٦].

تعلم أن النزعة المادية التي قد تغرق بها، وتأخذك عن الله بعيداً، وتنسيك الدار الآخرة، وتغرقك في بحر لجي متلاطم من بحور الدنيا المالحة، التي تزداد ظماً كلما ازددت شرباً منها، حتى تقتلك، هذه النزعة يعينك عليها، ويشغلك بها، ويغرقك بها قرينك الذي قيض لك، حين وقعت في شراك وشباك الغفلة، فإن كنت بالذكر ستكون في رعاية الله وحفظه، فإنك في غفلتك عن ذكر الله، ستكون في رعاية الشيطان، الذي سيقود خطاك، ويتولى توجيهك، ويزين لك سوء عملك، ستكون علاقاتك كلها، مع أهل بيتك، زوجك وأبنائك وأبويك وإخوانك وأخواتك وعموم قرابتك، خاضعة لقيادة قرينك وتوجيهاته، وأوامره، فانظر حال العلاقات حين تكون برعاية شيطان رجيم.

فأول الخطوات في تصحيح المسار، تخلص من هذا القرين، ولا يكون ذلك إلا بذكر الله، ومجالسة الصالحين، وكثرة الخطى إلى بيوت الله، والمكث مع أهل الله، في رياض الجنة، التي يتدارسون فيها كتاب الله، امتثالاً لأمر رائد المسيرة، وسيد الأولين والآخرين، محمد صلى الله عليه وسلم: « إذا مررتم برياضِ الجنةِ فارتعوا، قيل : يا رسولَ اللهِ وما هي رياضُ الجنةِ؟ قال : حلَقُ الذكرِ».

قليلٌ دائمٌ..:

وللحفاظ على الديمومة في أداء الطاعات والعبادات أثرها العظيم، في نفوس السائرين والسائرات إلى الله، فإن التزام الطاعات، والدوام على العبادات، وإن كانت قليلة في عددها، تترك على السلوك بصمتها، وتحفر في الذاكرة طابعها، فتعمل عملها السحري في تصحيح المسار، وضبط السلوك، وتقويم الاعوجاج، وإيقاظ الحس الإيماني في داخله، مما يجعله سريع التوبة والإنابة، إن زلت قدمه، ووقع في مصيدة الشيطان ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[آل عمران: ١٣٥].

تبقى المحافظة على أداء الطاعات والعبادات من أعظم المحطات التربوية التي يدخلها المرء، فتترك فيه أثرها، ولو بعد حين، وتعيد ترتيب الأولويات في حياته، وتحدث توازناً مهماً بين المادي والروحي، فمن شأنها أنها تحاصر النزعة المادية، وتعمل عمل مقاومتها، وتقليص مساحتها في النفس، بينما تترك الفضاء رحباً للروح، تسرح في تفكرها ملكوت الله، وتسجد في محرابها، وتناجي خالقها، وتجوع النفس في ميادين الصيام، وتفارق فيه شهواتها، وتسارع فيه لفعل الخيرات، وهكذا تجد أن المداومة على هذه الطاعات يعمل عمله في استقامة العبد، وتخليصه من شرك النزعة المادية وشباكها القاتلة، فالزكاة تطهر المال وتزكي النفس وتخلصها من آفات الحرص والشح والبخل، وللحج دور عظيم في تجسيد المساواة بين البشر، وتخليصه من أسر المظاهر التي هي محور النزعة المادية، وهكذا سائر الطاعات والعبادات، إن وفق للمحافظة على أدائها، ورزق الحرص على عدم تأخيرها وتضييعها.

وبهذه الإشارات السريعة، التي يسمح بها المقام، نمهد السبيل للمسلم أن يكون على يقظة تامة في حياته، حتى لا يقع في أسر النزعة المادية، وفي الوقت نفسه أن لا يكون ناسكاً منقطعاً عن الحياة، بل إنساناً ربانياً يملك بيديه ما يشاء من الدنيا، دون أن يأذن لها بالدخول أو التسلل إلى قلبه، نعم إنساناً يمشي على الأرض، وقلبه معلّق بالآخرة.

رمضان وتحرير القلب من الشاشة

د. أحمد الزقاقي
أكاديمي مغربي عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

أمام انتشار ثقافة التفاهة والاهتمام بالأشكال والمظاهر أمور كثيرة تهدد صحة صيام المسلم، لاسيما على شبكات التواصل الاجتماعي عندما تغيب الضوابط الأخلاقية رغم صيام الجوارح، فكيف يمكن تحويل الحضور الرقمي في رمضان إلى "صيامٍ مُعينٍ على التقوى" لا مُفسدٍ للأجر أو مُنقِصٍ له.

١. إن للأنترنت لاسيما شبكات التواصل الاجتماعي سلبيات وإيجابيات، ومزايا ورزايا، وإذا كانت آفاتها لا تُبطل الصوم في الأعم الأغلب، فإنها قد تُحبط الأجر أو تنقصه، ففي مجالسها الافتراضية تحضر الغيبة والنميمة والكذب والبهتان والسبّ، والتشفي والتشهير والتحقير والتنمر فضلا عن تضييع الواجبات والتكاسل عن أداء فرائض الصلوات في أوقاتها.

٢. إن التعامل بضوابط مع الانترنت وشبكات التواصل الاجتماعي يرمي إلى اجتاب مفسدات الصيام وتحقيق التقوى وتحصيل النفع للنفس وللغير، من هنا يمكن الحديث عن "الصيام الرقمي" كالتزام تعبدي لضبط النظر والقول والمشاركة والوقت في الفضاء الرقمي على نحو يجعل منه "وسيلة" لا "موطن إقامة".

٣. من مشمولات الصيام الرقمي صوم اللسان الرقمي بالابتعاد عن السب والشتم والسخرية والجدال العقيم وتتبع العورات وتسقط الأخطاء، ومن مشمولاته أيضا القيام بواجب الستر بعدم تداول زلات الناس ونشر الخصومات والتعيير بالذنوب والمعاصي.

٤. أما صوم النظر فيقتضي لتقليل التشتت تنظيف وتنظيم "البيئة البصرية" وتنزيهها عما يشينها ويشوش الرؤية أو يثير الشهوة، أو يغذي الحقد، أو يدمن التفاهة، أو يحرّك المقارنات والاحتقار.

٥. ولقد أبدع الدكتور طه عبد الرحمن أيما إبداع في تعديد آفات النظر غير المنضبط ضمن بيانه للتحديات الأخلاقية لثورة الإعلام والاتصال، فالنظر السائب يتنقل صاحبه بين

أربع آفات هي: التفرج والتلصص والتجسس والتكشف.

٦.التفرج: من خلال التوسط بالصور، إذا يجعل المتفرج الصور واسطة لتحديد علاقته بذاته وبالآخرين وبالعالم، ويلبس أشكال تعامله مع الآخرين لباس الصورة ناقلا إلى هذه الأشكال فيحب المظاهر ويحب الجاه، ويريد أن يتصل بصره بالصورة كما تتصل يده بما تتناوله، ويورث الإدمان على الصور سوء تأثير في القدرات الحسية والنفسية والفكرية للمتفرج، فيتلقف الصور ويتخلي عن الوعي النقدي ويكتفي بالتقبل الانفعالي العاطفي، ويصاب بالتبلد وعقم الخيال، ويتضرر المتفرج جسميا بتعطيل الحركة الضرورية للجوارح والأعضاء،وتتقلص استفادتة من إمكانات بصره في فسح المجال المتاح له.

٧.التلصص: عندما يلتذ المتفرج بالنظر إلى الصورة يقع في التلصص، وهو إما تلصص جزئي عندما يشتهي المتفرج أن ينظر إلى الصور لا بشهوة النظر فحسب بل أيضا بشهوة الجنس أي بشهوة النظر المفضي إلى المتعة الجنسية، فيخرج المتفرج من وصف النظر إلى وصف المتلصص، والمتلصص هو المتفرج الذي يستغني عن شهوة الفرج بالنظر إلى الصور،أما التلصص الكلي فيفيد الدكتور طه أن المتفرج المتلصص بسبب الصور الإباحية لا يقف عند حاسة النظر لديه بل لا يلبث أن يلحق أيضا حواسه الأخرى فتجده يتسمع ويتلمس ويتشمم ويتذوق،

٨.التجسس: وهي آفة نفسية تصيب الناظر المعاصر الذي يستخبر عن الأشياء المصورة مستمتعا بهذا الاستخبار، وهو إما أن يتجسس على غيره أو يتجسس على نفسه فيساق ليكون عدو نفسه فيقدم معلومات مجانية.

٩.التكشف: إذا كان التفرج آفة نفسية تصيب الناظر فإن التكشف آفة نفسية تصيب المنظور إليه الذي يبدي كل شيء من خاص حياته جسميا كان أم نفسيا، كأنه يقول إذا نظر الآخرون إلي فإذا أنا موجود، فيتولد لدية طغيان في حب ذاته، لذلك يتعلق المتكشف بصورته.

١٠. وختاما: إن رمضان كما يمثل فرصة للترقي في مدراج الإيمان، والاتصاف بصفات عباد الرحمان، فهو أيضا فرصة للتعافي من الإدمان الرقمي الذي يلحق الأضرار الفادحة بالإرادة والجسد والذاكرة، ويقوي نوازع الأنانية، ويضعف حس الحياء، ويشوش على السكينة الداخلية، ويزاحم النيات التعبدية، ويذهب بالخشوع.

والنتيجة: لا صيام. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر".

حوارات ومقابلات

_ حوار مع الدكتور أبو جرة سلطاني
عن دور المنتدى العالمي في تفعيل
الوسطية كرؤية حضارية

دور المنتدى العالمي في تفعيل الوسطية كرؤية حضارية ومشروع نهضوي

في حوار خاص مع الدكتور أبو جرة السلطاني

حاوره: بسام ناصر

لم تعد «الوسطية» في زمن السيولة المعرفية، وفي خضم ما تشهده الساحة الثقافية من سجالات دينية وفكرية حادة، مجرد «مفردة» أو مصطلح كسائر المصطلحات المتداولة، بل باتت ساحة لتجاذبات فكرية واسعة، تتمحور حول توضيح مفهومها، وتحديد مضامينها، وإبراز أصالتها ومدى انضباطها بضوابط الشريعة، أو اتخاذها ذريعة لتمييع ثوابت الدين وتجاوز قطعياته.

وفي غمرة انتشار فوضى القول في دين الله بغير علم، وإطلاق العنان لدعاوى غريبة، وفتاوى شاذة، وجب على علماء الأمة ومفكريها النهوض لتوضيح المفاهيم الدينية، وتحديد المصطلحات الشرعية، وتنقيتها من كل الشوائب والغرائب الدخيلة عليها، حتى لا تفقد أصالتها، ويتم تجريدها من حمولتها الدينية المتوافقة مع هدي القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية.

وفي هذا السياق يلوح في الأفق اسم المنتدى العالمي للوسطية، كمعلم من معالم العمل الفكري المؤسسي الذي اتخذ من الوسطية منهجا له وطريقا، وكهيئة فكرية إسلامية عالمية ذات رسالة فكرية مستنيرة، تسعى إلى التجديد في حياة الأمة، وإعادة صياغة المشروع النهضوي الإسلامي.

ولا يفتأ المنتدى العالمي للوسطية يؤكد في إصداراته ومنشوراته أن رسالته تتمثل في إحياء منهج الوسطية والاعتدال، تأصيلا وتنزيلا، وإبراز صورة الإسلام الحقيقية فكرا وثقافة وسلوكا على الصعد كلها، ونشر رسالة الاعتدال في فهم الإسلام دينا وحضارة، وتعميم الهوية الفكرية والثقافية لإنسانية الإسلام، وبث روح التسامح والحوار الإنساني إنطلاقا من وسطية الإسلام.

ولتوضيح ذلك كله، ولإبراز دور المنتدى في تفعيل الوسطية كرؤية حضارية ومشروع نهضوي، كان لمجلة «الوسطية» هذا الحوار الخاص مع المفكر والسياسي والداعية الجزائري، الدكتور أبو جرة السلطاني، الرئيس الحالي للمنتدى، والذي أوضح فيه مفهوم الوسطية برؤية شمولية، أضاف فيها أبعادا جديدة مكملة لمفهومها التقليدي، نتيجة النظر إليها من زوايا أخرى أنتجها التراكم المعرفي خلال نصف قرن.

السلطاني استعرض في هذا الحوار بدايات تأسيس المنتدى، وتحدث عن الرؤية والدوافع والأهداف، ولفت إلى الإنجازات والمعوقات والتحديات، وأشار في إطار حديثه عن الخطط المستقبلية إلى المشاريع التي يطمح المنتدى إلى إنجازها في الأيام والشهور والسنوات القادمة.

وأكدَّ السلطاني أن المنتدى العالمي للوسيطة ليس بديلا عن هيئات أو مؤسسات تنشط في الميدان، وليس حزبا سياسيا ينافس الأحزاب السياسية العاملة في الساحة، بل هو «هيئة فكرية مستقلة تسعى إلى تجديد الفهم والتصور والخطاب، وتنبذ الغلو والتطرف، وتجتهد في نشر هذا الفهم وتعميمه طمعا في بعث خير أمة من جديد على أسس سلمية نشر والعلم، وبث الوعي، وتأصيل منهج الوسطية، وتوسيع دوائره».

فإلى نص الحوار:

**** في ظل الاستخدامات القلقة لمفهوم (الوسطية)، ما هو التصور الشرعي الصحيح لهذا المفهوم الذي تبناه المنتدى العالمي للوسطية الذي ترأسونه اليوم، وهو يعمل على نشره وإشاعته في المجتمعات المعاصرة؟**

بسم الله والحمد لله ثم الصلاة والسلام على رسول الله. وبعد: شكرا على الاستضافة. وتحية لكم في الأردن الشقيق ولأصدقاء المنتدى في العالم كله. لن أخوض في تفسير المصطلح من جهة المفهوم اللغوي والاصطلاحي، ولا من جهة الدلالات المتداولة بين الناس كمضمون ثقافي أو منظومة فكرية، فكل هذا صار معروفا بفعل التكرار والسماع والنشر.. وبتأثير الواقع الثقافي الذي كرسته ممارسات التيار الوسطي الواسع حتى صارت أغلب دول العالم عارفة بمحتواه وبمؤسسيه وبمفكريه الكبار ومنظريه وبصناع محتواه الفكري والثقافي والحضاري.

ولكني سأقدم مفاهيم مكملة للمفهوم التقليدي للوسطية من زوايا أخرى فرضها التراكم المعرفي خلال نصف قرن من الاحتكاك بالآخر عبر المؤتمرات الدولية والندوات والمحاضرات والكتب والنشرات المترجمة إلى عديد لغات العالم، فبفضل هذا الجهد التراكمي حدث فصل وظيفي واضح بين دعاة الوسطية وبين من يحاولون تضييق ما وسعه الإسلام على الناس وجعله الله

رحمة للعالمين. وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمة فاصلة هي سنّته إلى يوم الدين يوم قال معقبا على سلوك الثلاثة الذين تقالوا عبادته:» ومن رغب عن سنتي فليس مني.

فالوسطية الوظيفية تعني ثلاث مسائل متكاملة، هي مضامين الأمة الوسط منذ أن أنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم قوله: {وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} البقرة: ١٤٣. فبالحساب العددي نجد أن هذه الآية جاءت وسطا في آيات سورة البقرة؛ فرقمها ١٤٦، وعدد آيات السورة ٢٨٦ آية؛ فهي وسط عقد السورة.

**** ما هي محتويات ومضامين الوسطية الوظيفية التي تتحدثون عنها؟**

نعم؛ أعني بالوسطية الوظيفية الفصل بين فلسفة المصطلح نظريا وبين تكريسه خطابا وممارسة.

أولها: مرونة التعامل مع الناس، مسلمين وغير مسلمين، فالفظاظة والغلظة تضيق ما وسعه الله على خلقه. وأرشد إليه رسوله صلى الله عليه وسلم بأن من دواعي حب أصحابه تواضعه لهم وترفقه بهم ولينه لهم بالقول: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} آل عمران: ١٥٩. وثانيها: قبول الآخر كما هو على أساس التسامح الذي منحه الله للناس في اختيار دينهم بحرية ووعي، ولم يكره أحدا على أن يكون مسلما. بشرط ألا يحاول غير المسلمين إكراه غيرهم على دينهم. أو على ترك عبادة التوحيد. وهو ما ختم الله به سورة (الكافرون) بقوله: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} الكافرون: ٦، بعد المفاصلة بين من يعبده ويوحده وبين من يتبع الهوى.

والثالثة: الجمع بين الخطاب المتسامح والسلوك القويم بنية إقامة الشهادة على غير المسلمين بتوكيد القول بالفعل ليعلموا أن أقوالنا وأفعالنا نابعة من مصدر واحد، لا تتعاند ولا تتناقض. وأن كل مسلم شاهد على الناس بأفعاله قبل أقواله بغير تكلف ولا شطط.

**** إذا كان هذا هو مفهوم الوسطية فما خلفيات ودوافع تأسيس المنتدى العالمي للوسطية؟**

الغلوّ ليس سلوكا طارئا على البشرية؛ بل هو قديم في الناس؛ فمنذ خلق الله الإنسان كان من الناس غال متطرف، ومنهم معتدل وسطي. لكن بتطور التقانية صار الغلوّ مؤسسات ومراكز وليس أشخاصا وجماعات وفرقا فحسب. ومثال ذلك أنه بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، اتجهت الأنظار إلى العالم الإسلامي بسردية متحاملة

على المسلمين ومحاصرتهم بضخ إعلامي يصر على أن دينهم منتج للإرهاب، وهو مصدر الغلو ومنبع التطرف وبؤرة تفريخ الإرهاب، على نحو تم وضع جماعات وأنظمة ومؤسسات، وحتى دول، على لائحة الإرهاب. وتضخمت دعاية الخوف من الإسلام «الإسلاموفوبيا» وتضرر منها كثير من المسلمين في أقطارهم أو على مستوى الجاليات بالخارج تحت غطاء التوجس من الوافدين.

فانبرت نخبة من العلماء والمفكرين والدعاة ومن صناع الرأي لسدّ هذه الثغرة، فكان من ثمرة جهودهم – والجهود كثيرة في العالم كله – عقد مؤتمر عالمي (في العاصمة الأردنية عمان) حول وسطية الإسلام بين الفكر والممارسة. فلاقت هذه الفكرة استحسانا واسعا تجاوب معه كثير من دعاة الوسطية وتنادوا إلى عقد مؤتمر ثان عام ٢٠٠٦ بنفس المكان. تناول الدور العلمي لتيار الوسطية في الإصلاح ونهضة الأمة، حضرة قادة الرأي والفكر من أغلب أقطار العالم. فكان فرصة مواتية للإعلان عن ميلاد (المنتدى العالمي للوسطية) بمباركة رسمية. غايته فك الاشتباك الناشب بين المتطرفين ومجتمعاتهم من جهة، وبينهم وبين أنظمتهم من جهة ثانية أمام تنامي موجة الكراهية والتكفير ونبذ الأخر.

والناظر في مبادئ التأسيس يدرك أنه هيئة فكرية عالمية مستقلة تسعى إلى تجديد الفكر والتصور والخطاب والممارسة. وتعمل على صياغة مشروع نهضوي شامل، وتدعو إلى عالم عادل ومتوازن وذي ممارسات إنسانية قائمة على التعارف والتعاون وحقوق الإنسان وحفظ النظام العام فكرا وثقافة وسلوكا باعتماد كل وسيلة مشروعة فنية وثقافية وتقنية لنشر ثقافة الوسطية على جميع المستويات من المدرسة إلى الجامعة ومن المسجد إلى الإعلام، ومن المجتمع المدني إلى الأنظمة القائمة وهيئآتها الإقليمية والدولية.

والغاية المشتركة بين جميع مكونات الأمة هي بعث مشروع نهضة شاملة في منطلقاتها ومساراتها وغاياتها لحفظ هوية الأمة من التشويه وتثمين مكتسباتها وتاريخها ولغتها وحضارتها الإنسانية العريقة.

*** برأيكم هل حقق المنتدى هذه الأهداف؟**

عمر المنتدى ربع قرن، فهو في ريعان الشباب. وما تحقق في هذه السنوات القليلة أكبر مما كنا نتوقع، خاصة في عهدته الأولى تحت رئاسة الإمام الصادق المهدي (رحمه الله)، فقد نقل صداه إلى القارات الخمس، ونسج ببركات تواضعه علاقات علمائية ورسمية ومؤسسية مع جهات كثيرة، وزار مع السيد الأمين العام وبعض أعضاء المكتب الدائم رؤساء وأمراء وملوكا

كثيرين من المالديف إلى المغرب.. ونجح في نسج وساطات نخبوية وعلمائية وسياسية تركت آثارا طيبة في نسيج المجتمعات التي لعب المنتدى أدوارا رائدة في إصلاح ذات البين فيها.

بالإضافة إلى نشر الوعي وتقويم الاعوجاج والحد من انتشار فكر الغلو والطرف.. ونشر مئات الكتب والمطويات حول فكر الوسطية، وعقد مؤتمرات في أكثر من ٧٠ دولة، وفتح فروع في أغلب هذه الدول. وبعد مرور ربع قرن على تأسيس المنتدى تأكدت جهات رسمية وشعبية ومؤسسات تربوية ودعوية أن وجوده ضرورة للأمة الإسلامية وللمجتمع الإنساني.

وبحمد الله تصلنا كل يوم طلبات انخراط في صفوفه، وكل أعضائه في العالم يحظون بالتقدير والإحترام في مجتمعاتهم ودولهم. وفي كل بقعة يزورونها. ومنهم شخصيات عالمية شغلوا مناصب سامية في دولهم خلال مسيرتهم المهنية؛ منهم رؤساء ووزراء وعلماء ومربون ومفكرون وأساتذة في جميع التخصصات وفلاسفة أيضا.

***مادام لدى المنتدى هذا الكم النوعي الهائل من الكفاءات، ومن أهل الخبرة والتجربة، هل ترونه نجح في نشر ثقافة الحوار والتسامح والتعايش في مجتمعاتنا المعاصرة؟**

ليس بين يدي إحصائيات عددية نهائية عن المستويات التي بلغها المنتدى في نشر ثقافة الحوار والتسامح والتعايش السلمي. لكن المؤشرات كلها إيجابية؛ فصورته في جميع المحافل بيضاء ومشرّفة ويحظى بالتقدير والإحترام في جميع الأقطار التي يتحرك فيها، ولم يصطدم أبدا بأي فصيل. وما من مؤتمر يعقده تحت أي عنوان إلا ويلقى أصداء طيبة ومباركات.

ففي ربع قرن من عمره نجح في التواصل مع أبناء الأمة. ونجح في تقليص دوائر الخلاف بين كثير من التيارات المتعارضة. وصار الحوار سبيلا لحلحلة أي مشكلة. ونجح أيضا في حشد الطاقات العلمية والفكرية لأنه جعلها في برنامجه غاية مطلوبة وأولوية محسوبة ومنهجا ثابتا ما فتئ مكتب المنتدى يجتهد لاصطفاء أكثر الرجال مرونة وفهما للواقع وقدرة على الاستيعاب واحتواء الخلافات البينية أو الصدام مع الأنظمة.

**** هذا جيد؛ لكن ماذا عن تيارات الغلو والتطرف التي مازالت موجودة؟ وما هي منطلقات المنتدى في معالجتها؟ وما أبرز النشاطات الموجهة لمعالجة هذه الظاهرة؟ وهل أصدرتم كتبا في هذا الصدد؟**

من أول يوم للتأسيس توجه المؤسسون إلى تأصيل فكر الوسطية شرعا وفكرا وثقافة وأخلاقا،

وإلى تطمين الأنظمة والجماعات العاملة في الميدان إلى أمرين تم البت فيهما بشكل قطعي ونهائي:

١. أن المنتدى العالمي للوسطية ليس بديلا عن هيئات ولا عن منظمات وجماعات تنشط في نفس الميدان وتعمل في نفس الإتجاه. بل يمد يده للتعاون معها على المتفق عليه والحوار حول المختلف فيه.

٢. أن المنتدى العالمي للوسطية ليس حزبا سياسيا ينافس الأحزاب في الانتخابات على المجالس. أو يغالب الأنظمة على انتزاع الحكم من أحد. أو يتدخل في شؤون أي نظام.

إنما هو هيئة فكرية تسعى إلى تجديد الفهم والتصور والخطاب. وتنبذ الغلو والتطرف، وتجتهد لنشر هذا الفهم وتعميمه طمعا في بعث خير أمة من جديد على أسس سلمية وسيلتها نشر العلم وبث الوعي وتأصيل منهج الوسطية وتوسيع دوائره.

وقد انصب جهد العاملين في هذا المنتدى على توكيد هذه المعاني. وكما ذكرت سابقا دارت محاور أغلب مؤتمراتنا حول الإنسان. والفكر. والحرية. والوحدة. والتعاون. والتكامل. والمواطنة. والتعايش. والسلم. والأمن. والنهضة.. الخ. دون أن نغفل عن تذكير الأمة بالقضايانا العادلة وفي مقدمتها القضية الفلسطينية. وجميع منتوجنا الفكري والثقافي – وهو كثير جدا – يصب في خدمة هذه الأهداف النبيلة، ومنها مجلة (الوسطية) لسان حال المنتدى التي صدر منها حتى الآن ٤٧ عددا تضمن مادة دسمة وموثقة ومتنوعة لخدمة ما تأسست له.

**** هذا شرح عملي جميل، ولعلكم توافقوني الرأي أن المدرسة والمسجد والإعلام هي ثالوث صناعة الفكر والرأي والتوجه في العالم كله، فكيف كان اهتمام المنتدى في إصلاح المنظومة التربوية وفي ترشيد الخطاب الديني وفي توجيه مسارات الإعلام؟**

هذا سؤال جوهري يختصر مسيرة المنتدى في جمل قليلة؛ بل في ثلاث كلمات مفتاحية: المدرسه. والمسجد. والإعلام. وأنا أطمئنك وأطمئن القراء ومن ورائهم الرأي العام العالمي. أن أغلب رجالات المنتدى كانوا يشتغلون في هذه الفضاءات؛ أو مروا في مسارهم المهني، بالتعليم وبالوعظ وبالوسائط الإعلامية، بالإضافة إلى مهن ووظائف أخرى لها صلة بالتأثير على تركيبة الإنسان من المهد إلى اللحد.

وما من أحد منا إلا وهو مدرك أن المعركة وجدانية قبل أن تكون ميدانية. ودليلي أنه لا يوجد شيء أقسم الله عليه سبع مرات إلا النفس

البشرية ليقرر، بعد هذه الأقسام السبعة، أنه ركب فيها الفجور والتقوى، وأن مدار معركة الحياة كلها قائم على إصلاحها أو تدميرها: { قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا} الشمس: ٩/١٠. ووسائل تزكيتها أو تدسيتها خمسة: الأسرة، والمدرسة والبيئة، والمسجد، والإعلام. وهي الجبهات التي يرابط عليها المنتدى ويستفرغ جهود المنتسبين إليه في تربية النشء عليها وحمل المجتمعات على ترسيخ مفاهيم الوسطية في مختلف مؤسساتها ومراكزها وفضاءاتها. ومعالجة أسباب الغلو والتطرف والانحراف في الأسرة والمدرسة وفي الخطاب الديني وفي سائر وسائل الإعلام. وجمع الأمة على القواسم المشتركة والاهتمام بالمرأة والطفل والمحافظة على الهوية وثوابت الأمة.

****نود في هذا الحوار استشراف مستقبل أعمال وخطط المنتدى في قادم الأيام، والمشاريع التي تنوون تنفيذها في المنظور القريب؟**

جراحات الأمة واسعة وعميقة، وهي تتسع يوما بعد يوم، وما كان بالأمس أولوية صار اليوم ثانويا، أو غير ذي قيمة أصلا. ومع ذلك فإن تراكم إنجازات المنتدى وثمار هذا التراكم في الميدان تشجعنا على الإستمرار على نفس الخط، ولو بالحد الأدنى المتاح، في تنفيذ الخطة الخماسية سنة بعد سنة، دون أن نغفل واجب الوقت الذي أقدر أنه يوجب علينا التركيز على ثلاثة محاور صارت أولوية الأمة التي لا يجوز تأخيرها عن وقت حاجتها إليها. وهي:

١. أولوية توعية أمتنا بالمخاطر المحدقة بها وبسوء عاقبة السرديات المغرضة، فالوعي بالمخاطر يعيننا على دفع المضار الكبرى التي تتهدد وجودها وكينونتها بقطع النظر عن توجه كل قطر. فأعداؤنا ينظرون إلينا على أننا «أمة شرقية» قد تنهض ذات يوم. والمؤامرة علينا قضية وقت فحسب. ويوم يسقط الثور الأبيض فسيأتي الدور على أخيه الأسود الذي كان يتفرج على نهايته لحظة افتراسه.

٢. أولوية الاستمرار في نشر الفكر الوسطي مهما علت أصوات الغلو والتطرف. ومهما ضاقت دوائر التحرك؛ فنفس المتطرفين قصير لأنه زبد. بينما نفس الوسطيين طويل لأنه نافع الناس وماكث في الأرض بأمر الله.

٣. وأولوية تعاون الأمة الإنسانية على حماية الأقليات وعلى نصرة القضايا العادلة والوقوف صفا واحدا في وجه الاستكبار العالمي الذي بلغ به الهوس حد تجويع شعب وحصاره وتهجيره بالقوة. واختطاف رئيس دولة من مخدعه مع زوجته. هل بقي للإنسانية من عذر لتصمت أمام هذا الظلم الشنيع؟

**** في ضوء ما ذكرته في جوابك السابق هل يقوم المنتدى بدور النصح للأنظمة والحكومات والمسؤولين كجزء من اهتمامه بقضايا الأمة؟**

ما تخلف المنتدى منذ تأسيسه واعتماده قانونيا عن رسالته الأولى في التواصل مع المفكرين ومع بعض الأنظمة والدول والحكام لتقديم النصح، ووضع نفسه تحت تصرف الأمة لتسهيل الحوار بين الأطراف المتنازعة وتذليل العقبات وتطييب الخواطر وتقديم أوراق عمل مقترحة للمساهمة في حل الأزمات، خاصة بعد ثورات الربيع العربي. فضلا عن التواصل الدائم والمستمر مع ذوي التأثير من علماء الأمة ومفكريها ونخبها لتشجيع الحوار وسلوك سبل الدبلوماسية الناعمة بدل اللجوء إلى الصدام وإلى الترويع والأساليب العنيفة، لاعتقادنا أن الحوار يعزز جهود الإصلاح ويتيح للأمة فرصا ثمينة من الأمن والاستقرار تتفرغ خلالها لنشر العلم وتوفير فرص العمل للشباب وإشاعة العدل بين الناس بدل التنازع المفضي إلى الفشل وذهاب ريح القوة وريح الأخوة.

**** يبدو لي من خلال حديثكم أن سقف المنتدى عال، وطموحه واسع، لكن في المقابل ما هي العقبات والتحديات التي تواجهونها في مسيرتكم الفكرية والنهضوية والعملية، وكيف تقومون بمعالجتها وتجاوزها؟**

العوائق والتحديات والعراقيل جزء من طبيعة كل عمل كبير، ولم تخلُ منها حتى دعوة الرسل أقوامهم في أزمنتهم المتعاقبة. وكلما علا سقف الأهداف كثر عدد الذين يتوهمون أن في مسعى المنتدى إلى الوسطية تهميشا لأشخاصهم أو تهديدا لمواقعهم أو تحجيما لمصالحهم أو منافستهم على منافع دنيوية.

ولعل أكبر العراقيل في مسيرة المنتدى هو صعوبة الفهم بسبب كثافة التشويش على مشروع الوسطية. فرغم مرور ربع قرن على تأسيس المنتدى مازالت أطراف كثيرة تتساءل عن جدوى وجوده؟ ومن يقف وراءه؟ ومن أين يستمد قوته وحمايته وموارده المالية؟ وهل هو هيئة نظامية تابعة لجهة ما؟ أم هو تشكيل ضرار يعرقل جهود هيآت أخرى رسمية وشعبية ومجتمعية؟

والحمد لله الذي ألف لنا قلوب علماء كثيرين ومفكرين ورجال دولة فهموا منطلقاتنا وأهدافنا ففتحوا لنا أبواب الخير. وسهلوا تواصلنا مع عمق مجتمعنا في العالم كله. فعرف الناس من نحن وماذا نريد. واكتسبنا ثقة قطاعات واسعة من الأصدقاء والمحبين في القارات الخمس.

ومع هذا مازالت كثير من العوائق تحول دون تحقيق بعض طموحاتنا وتجسيد ما نخطط له من أهداف نبيلة، بعضها عوائق فكرية وتصورية.

وبعضها مالية لوجستية، وبعضها عائد إلى المرحلة الصعبة التي يمر بها العالم منذ ثلاثين عاما، والتي من مظاهرها انكماش الأنشطة الفكرية والدعوية والعلمية والمجتمعية.. وحتى العمل الخيري والإغاثي لأسباب يطول شرحها.

**** في الختام نراكم متفائلين مع كل ما يواجه المنتدى من تحديات ومعوقات، فما سر هذا التفاؤل ودواعيه؟**

لا يكون وسطيا من لم يكن متفائلا. ولا ينتمي إلى أمة الوسط إلا المتفائلون. وأنا منهم إن شاء الله لثلاثة أسباب على الأقل:

أولها: لأن إخواني شرفوني برئاسة هذا المنتدى بعد رئاسة فضيلة الإمام الصادق المهدي رحمه الله. وفضيلة الشيخ عبد الفتاح مورو حفظه الله. وكلاهما كان متفائلا، فلا يليق بي أن أخالفهما بتشاؤمي.

وثانيها: أن المنتدى، رغم جراحات أمتي، مازال يتحرك بثبات في أفضل رواق. ومازال يحظى بتقدير رسمي وعلمائي وشعبي، وجميع مؤتمراته ناجحة بشهادة المشاركين من مختلف الأقطار.

وثالثها: تعلمت من ديني بأن مع كل عسر يسرين، وكلما عسعس الليل اقتربت لحظة تنفس الصبح. فأيقنت أن العسر الذي تمر به أمتي ليس سوى اختبار لدينها وامتحان لصبرها وتهيئة لأقدار مكتوبة سوف تلاقيها عندما يأذن الله بانجلاء غبار هذه المعركة المصيرية، وعندما يأذن لخير أمة أخرجت للناس بأن تنبعث من جديد. ولتعلمن نبأه بعد حين.

قضايا وأفكار

_ أهمية برنامج تأهيل المعلمين قبل الخدمة في الأردن

_ المثقف العضوي في المجتمعات العربية: من الفكرة إلى المعاناة... ومن المعرفة إلى الفعل

أهمية برنامج تأهيل المعلمين قبل الخدمة في الأردن

د. فرحان محمد سعيد الياصجين
أستاذ الصحة النفسية والتربية الخاصة

يُعدّ التعليم الركيزة الأساسية في بناء المجتمعات الحديثة وتنمية مواردها البشرية، ولتحقيق تعليم نوعي يواكب متطلبات القرن الحادي والعشرين، لا بد من الاهتمام بالمعلم بوصفه المحرك الرئيس للعملية التعليمية. ومن هنا جاءت أهمية برامج تأهيل المعلمين قبل الخدمة، التي تُنفذ في الجامعات وكليات التربية، بهدف إعداد كوادر تعليمية تمتلك المعرفة التربوية والمهارات العملية التي تمكنها من ممارسة مهنة التعليم بكفاءة وفاعلية. وفي الأردن، أخذت هذه البرامج بعداً استراتيجياً لما لها من دور في تحسين جودة التعليم، ورفع مستوى التحصيل لدى الطلبة، وتعزيز مكانة النظام التعليمي الوطني..

تعزيز الكفايات المهنية والتربوية للمعلمين

إن برامج التأهيل قبل الخدمة تسهم في تزويد المعلم بالمعرفة التربوية والنفسية وأساليب التدريس الحديثة التي يحتاجها داخل الصف. فالمعلم لا يقتصر دوره على نقل المعرفة، بل هو موجه ومرشد قادر على التعامل مع أنماط التعلم المختلفة لدى الطلبة. في الأردن، تولي وزارة التعليم العالي ووزارة التربية والتعليم أهمية خاصة لإعداد المعلمين عبر برامج أكاديمية وتدريبية متخصصة، بحيث يجمع المعلم بين المعرفة النظرية والخبرة العملية من خلال التدريب الميداني. وهذا بدوره يساعده على مواجهة التحديات التي تعترض العملية التعليمية، ويضمن تحقيق الأهداف التربوية بكفاءة.

الاستجابة لمتطلبات الإصلاح التعليمي

شهد الأردن خلال العقود الماضية سلسلة من الإصلاحات التعليمية التي ركزت على تطوير المناهج، وتحديث أساليب التدريس، وتبني التكنولوجيا في التعليم. ولكي تنجح هذه الإصلاحات، لا بد من وجود معلمين قادرين على تنفيذها. وهنا يبرز دور التأهيل قبل

الخدمة، إذ يُعدّ المعلم ليكون جزءاً من عملية الإصلاح، وليس مجرد منفذ لها. فالتأهيل المبكر يغرس لدى المعلم الاتجاهات الإيجابية نحو التغيير، ويجعله أكثر استعداداً لتطبيق استراتيجيات تعليمية مبتكرة، مثل التعلم النشط، والتعليم المدمج، والتقويم من أجل التعلم.

معالجة الفجوة بين الجانب النظري والتطبيقي

من أبرز التحديات التي تواجه التعليم في الأردن الفجوة بين الجانب الأكاديمي النظري في الجامعات والجانب التطبيقي في المدارس. وهنا تأتي أهمية برامج تأهيل المعلمين قبل الخدمة، إذ تركز على التدريب العملي والميداني الذي يتيح للطالب المعلم فرصة الاحتكاك المباشر بالبيئة المدرسية، واكتساب مهارات إدارة الصف، والتعامل مع المواقف التعليمية الواقعية. هذا الدمج بين النظرية والتطبيق يساهم في تخريج معلمين مؤهلين وقادرين على الانخراط بسلاسة في الميدان التربوي.

رفع جودة التعليم وتحسين مخرجاته

تؤكد الدراسات أن جودة المعلم هي العامل الأكثر تأثيراً في مستوى تحصيل الطلبة مقارنةً بأي عامل آخر داخل المدرسة. ومن هنا، فإن الاستثمار في برامج التأهيل قبل الخدمة يعد استثماراً مباشراً في تحسين جودة التعليم. فالمعلم الذي يمتلك رؤية تربوية واضحة ومهارات تدريسية متنوعة، يكون أقدر على تنمية التفكير النقدي والإبداعي لدى طلبته، ويحفزهم على التعلم الذاتي. وهذا ينعكس إيجاباً على مخرجات التعليم بشكل عام، ويساهم في تزويد سوق العمل الأردني بكفاءات بشرية قادرة على المنافسة والإبداع.

مواكبة التوجهات العالمية والإقليمية

في ظل العولمة والتغيرات التكنولوجية المتسارعة، أصبح لزاماً على الأنظمة التعليمية أن تواكب المستجدات العالمية. وقد تبنت العديد من الدول استراتيجيات لتأهيل معلميها قبل الخدمة، لضمان توافق مخرجات التعليم مع المعايير الدولية. والأردن ليس بمنأى عن هذه التوجهات، إذ يعمل على إدماج التكنولوجيا في برامج إعداد المعلمين، وتزويدهم بالمهارات الرقمية التي تمكنهم من توظيف أدوات التعليم الإلكتروني والمنصات التعليمية. وهذا بدوره يعزز من قدرة المعلم الأردني على المنافسة إقليمياً، ويجعله جزءاً من الحراك العالمي لتطوير التعليم.

تعزيز القيم الوطنية والانتماء

لا يقتصر دور المعلم على الجانب الأكاديمي فقط، بل يمتد ليشمل غرس القيم الوطنية والإنسانية في نفوس الطلبة. ومن خلال برامج التأهيل قبل الخدمة، يتم التركيز على إعداد

المعلم ليكون قدوة في الالتزام والانتماء والمسؤولية الاجتماعية. وهذا يعزز من دوره في بناء مواطن واعٍ قادر على المشاركة الإيجابية في خدمة المجتمع والوطن. وبالتالي، فإن التأهيل المبكر يسهم في ربط رسالة التعليم بالبعد الوطني الذي يعد أساساً في فلسفة التربية الأردنية.

دعم التنمية المستدامة

يُعد التعليم ركيزة أساسية لتحقيق التنمية المستدامة بأبعادها الاقتصادية والاجتماعية والبيئية. ولأن المعلم هو العامل الرئيس في نجاح التعليم، فإن تأهيله قبل الخدمة يسهم في إعداد أجيال قادرة على الإبداع والإنتاج وتحمل المسؤولية. وبذلك يكون برنامج التأهيل جزءاً من منظومة وطنية تسعى إلى تحقيق أهداف التنمية المستدامة، بما يتماشى مع رؤية الأردن المستقبلية وخططه الاستراتيجية.

في عصر التطور التكنولوجي والتحولات الاجتماعية السريعة التي نعيشها، تبرز أهمية دور المعلم كمحور أساسي في بناء مستقبل الأجيال القادمة. إذ يعتبر التدريب المستمر للمعلمين أمراً حيوياً لتحقيق التطور التربوي وبناء جيل ناجح يساهم في تحقيق التقدم والازدهار للمجتمع .

إنّ تحسين مهارات المعلمين وتطوير قدراتهم التعليمية يمثل أساساً لتحقيق تجربة تعليمية فعّالة ومثمرة تحقق الأهداف التعليمية وتلبي احتياجات الطلاب في عالم متغير بسرعة

ما هو تدريب المعلمين؟

تدريب المعلمين هو عملية توفير الفرص والموارد التي تهدف إلى تطوير وتحسين مهارات ومعارف المعلمين في مجال التعليم. يشمل تدريب المعلمين مجموعة من الأنشطة والبرامج التي تستهدف تعزيز قدرات المعلمين على تخطيط وتنفيذ الدروس، وتقديم الملاحظات والتقييم الفعال للطلاب، وإدارة الصف والتفاعل مع الطلاب وأولياء الأمور، واستخدام التكنولوجيا التعليمية بشكل فعال، وتوجيه الطلاب في مسارات تعليمية ناجحة..

تتضمن أنشطة تدريب المعلمين ورش عمل تعليمية، ودورات تدريبية، وندوات تربوية، وبرامج تعليمية، ومناهج تدريبية، وورش عمل تطويرية، وجلسات تحسينية، وتبادل الخبرات بين المعلمين، ومتابعة وتقديم الملاحظات البناءة على أداء المعلمين، وغيرها من الأنشطة التي تهدف إلى تعزيز مهارات التدريس وتحسين أداء المعلمين في الصفوف الدراسية.

ما أهمية تدريب المعلمين في ٢٠٢٤؟

في عام ٢٠٢٤، تبقى أهمية تدريب المعلمين حاسمة لعدة أسباب:

- تكنولوجيا التعليم المتقدمة: مع تطور التكنولوجيا وتزايد استخدامها في التعليم،

يحتاج المعلمون إلى التدريب المستمر على استخدام الأدوات والتطبيقات التقنية الحديثة. هذا يساعدهم على تكييف طرق التدريس وتوجيه الطلاب بشكل أكثر فاعلية في عصر التعلم الرقمي.

- التحولات في مناهج التعليم: مع التغيرات المستمرة في متطلبات سوق العمل والتقنيات الحديثة، يحتاج المعلمون إلى تدريب يمكنهم من مواكبة التطورات وتكييف مناهجهم وأساليب التدريس بما يتماشى مع احتياجات وتطلعات الطلاب في المستقبل.
- التفاعل الاجتماعي والنفسي للطلاب: بعد فترة من التحديات النفسية والاجتماعية الناجمة عن الأحداث العالمية مثل جائحة كوفيد-١٩، يحتاج المعلمون إلى تدريب يمكنهم من دعم الطلاب عاطفياً واجتماعياً، وتقديم الدعم النفسي والتحفيز للتعلم
- التنوع والشمولية: يعتبر تدريب المعلمين على الشمولية وتقديم التعليم لطلاب متنوعين من حيث الثقافة واللغة والقدرات والاحتياجات، ضرورياً لضمان تجربة تعليمية عادلة وفعّالة لجميع الطلاب.
- تطوير مهارات التعلم الذاتي للطلاب: في عصر يتسم بسرعة التغير وكمية البيانات الهائلة المتاحة، يجب على المعلمين تدريب الطلاب على مهارات التعلم الذاتي والتحليلية والتفكير النقدي، وهذا يتطلب توجيههم بشكل صحيح وتوفير بيئة تعليمية مناسبة.

ما أفضل الطرق لتدريب المعلمين؟

هناك العديد من الطرق الفعالة لتدريب المعلمين، وتختلف الطرق وفقًا لاحتياجات المعلمين والسياق التعليمي. إليك بعض أفضل الطرق

١- ورش العمل والدورات التدريبية: توفير فرص للمعلمين للمشاركة في ورش العمل والدورات التدريبية المخصصة لتطوير مهارات التدريس واكتساب معارف جديدة في مجالات معينة مثل تكنولوجيا التعليم، تقديم الفعاليات الصفية، إدارة الصف، والتقييم التربوي

٢-التوجيه الفردي والمراقبة: تقديم جلسات توجيه فردية للمعلمين من قبل مدربين متخصصين، يمكنها تقديم توجيه محدد وتقديم الملاحظات البناءة على أداء المعلمين ومساعدتهم في تطوير مهاراتهم التعليمية

٣- التعلم التعاوني والمشاركة في مجتمعات التعلم المهني: إنشاء مجموعات من المعلمين المهتمين بمجالات معينة للمشاركة في مناقشة الأفكار وتبادل الخبرات والتجارب، وهذا يمكن أن يكون عبر الاجتماعات الشهرية أو المنصات الافتراضية

٤- التدريب التفاعلي والمحاكاة: توفير فرص للمعلمين للمشاركة في تجارب تعليمية محاكاة، حيث يمكنهم تجربة تطبيق التقنيات التعليمية الجديدة واستكشاف كيفية تفاعل الطلاب معها.

٥- التعلم عن بعد والتدريب عبر الإنترنت: استخدام الأنظمة الإلكترونية والمنصات التعليمية عبر الإنترنت لتقديم دورات تدريبية وورش عمل عبر الإنترنت، وهذا يمكن أن يوفر مرونة أكبر للمعلمين ويسمح لهم بالمشاركة في التدريس

ما علاقة تدريب المعلمين ونجاح الطلاب؟

تدريب المعلمين يلعب دورًا حاسمًا في نجاح الطلاب لعدة أسباب:

- تحسين جودة التعليم: عندما يتم تدريب المعلمين بشكل فعّال، يكونون أكثر قدرة على تقديم تعليم عالي الجودة يلبي احتياجات واستجابات الطلاب. هذا يتضمن تنويع الأساليب التعليمية، وتوفير الدعم الفردي، وتقديم التحفيز والتشجيع
- تحفيز الطلاب وتعزيز التعلم النشط: عندما يكون للمعلمين مهارات تعليمية متقدمة، يمكنهم تشجيع الطلاب على المشاركة والتفاعل في الصف، وهذا يعزز التعلم النشط ويساعد في بناء مهارات التفكير النقدي والإبداعية لدى الطلاب.
- تكييف التعليم لاحتياجات الطلاب: من خلال التدريب المستمر، يمكن للمعلمين تعلم كيفية تحليل احتياجات الطلاب وتكييف الدروس والأنشطة وفقًا لهذه الاحتياجات. هذا يساعد في توفير تجربة تعليمية ملائمة وفعالة لجميع الطلاب.
- تقديم الدعم الفردي وتعزيز الثقة: بواسطة التدريب، يتم تمكين المعلمين من تقديم الدعم الفردي للطلاب الذين يحتاجون إليه، سواء كان ذلك من خلال الدروس الإضافية أو توجيه الطلاب في مسارات تعليمية ملائمة. هذا يعزز ثقة الطلاب في قدراتهم ويشجعهم على التفوق.
- تعزيز علاقة المعلم والطالب: المعلم الذي يتلقى تدريبًا جيدًا يكون أكثر قدرة على بناء علاقات قوية وموثوقة مع الطلاب. هذا يسهم في خلق بيئة صفية إيجابية وداعمة، ويزيد من ارتياح الطلاب وميولهم إلى التعلم.

الأهمية النظرية، والتطبيقية:

في ظل تطورات العصر ومتطلبات المستقبل، يجب أن نكون واعين لأهمية دور المعلم وضرورة تطويره وتدريبه بشكل مستمر باستخدام سكولايزر. إن تمكين المعلمين وتزويدهم بالمهارات والأدوات اللازمة يمثل الطريق نحو بناء جيل ناجح قادر على مواجهة تحديات العالم

الحديث والمساهمة في تحقيق التنمية المستدامة والازدهار الشامل للمجتمعات.

الخلاصة:

إن برنامج تأهيل المعلمين قبل الخدمة في الأردن ليس مجرد خطوة أكاديمية، بل هو عملية استراتيجية تهدف إلى تحسين جودة التعليم، ومواكبة التغيرات العالمية، وتعزيز القيم الوطنية، والمساهمة في تحقيق التنمية المستدامة. ومن خلال هذا البرنامج، يتم الاستثمار في أهم عنصر في العملية التعليمية وهو المعلم، الذي يعد بحق صانع التغيير وقائد المستقبل. لذا فإن الاستمرار في تطوير هذه البرامج، وتحديثها بما يتناسب مع متطلبات العصر، يُعد أولوية وطنية تفرضها الحاجة إلى نظام تعليمي متجدد قادر على تلبية طموحات المجتمع الأردني.

المثقف العضوي في المجتمعات العربية: من الفكرة إلى المعاناة... ومن المعرفة إلى الفعل

خالد عبد الهادي

كاتب وباحث أردني مهتم بالشأن الفكري

بين غرامشي والواقع العربي

يمثل المثقف العضوي في الفكر النقدي الحديث ذلك الإنسان الذي لا يكتفي بتفسير العالم، بل ينخرط عضوياً في هموم مجتمعه، وينحاز إلى قضايا الفئات المقهورة، ويتحول من ناقل للمعرفة إلى فاعل في الحياة اليومية للناس، من الخبز والخوف والعمل والكرامة، منخرط في صراعاتهم الصغيرة قبل شعاراتهم الكبرى. وقد صاغ أنطونيو غرامشي هذا المفهوم في سياق أوروبي ارتبط بصراع الطبقات وبناء الهيمنة الثقافية، غير أن التجربة العربية تمنح هذا المفهوم أبعاداً مختلفة وأكثر تعقيداً، لأنها نشأت في ظل الاستعمار، والاستبداد، والانقسام الديني والطائفي، والتأخر التاريخي.

فالمثقف العضوي في السياق العربي لا يبدأ من الكتب بقدر ما يبدأ من وجع الناس اليومي، من الخبز والخوف والعمل والكرامة، ثم يحوّل هذا الوجع إلى سؤال فكري وموقف أخلاقي.

في السياق العربي، لم يكن المثقف العضوي مجرد مفهوم نظري وافد، بل كان ممارسة تاريخية تشكلت عبر الاحتكاك بالسلطة والدين والمجتمع والهوية. فالمثقف هنا لم يواجه فقط سلطة سياسية، بل واجه أيضاً منظومات اجتماعية مغلقة، وبنى تقليدية، وأسئلة وجودية كبرى حول النهضة والحرية والانتماء.

لقد تعلّم هذا المثقف أن يفكر وهو واقف في منتصف الطريق بين السلطة والشارع، بين الخوف والجرأة، بين ما يجب قوله وما يمكن قوله.

البدايات البعيدة: حين كتب المثقف من موقع المعاناة

أبو حيان التوحيدي: المثقف قبل أن يولد المصطلح

يمكن اعتبار أبي حيان التوحيدي نموذجاً مبكراً للمثقف العضوي العربي، رغم سبقه التاريخي لغرامشي بقرون. فقد عاش فقيراً، مهمشاً، وكتب من داخل التجربة الإنسانية لا من فوقها. لم يكن موظفاً لدى السلطة ولا تابعاً لمذهب، بل صاحب عقل نقدي حرّ، جعل من كتاباته في «الإمتاع والمؤانسة» و«البصائر والذخائر» سجلاً أخلاقياً للفساد والنفاق والظلم.

انحاز التوحيدي للفقراء والمهمشين، وهاجم تواطؤ الفقهاء مع السلطان، ورفض أن يكون جزءاً من آلة التبرير الديني أو السياسي. لقد جسّد صورة المثقف الذي يدفع ثمن استقلاله عزلةً وفقراً، لكنه يحافظ على كرامته الفكرية. كانت عضويته تتجلى في رفضه للانقسام بين الفكر والحياة، بين الثقافة والواقع اليومي للناس.

لم يكن التوحيدي مفكراً في برج عاجي، بل شاهداً على عصره، ينقل خيبات الفقراء وصراعات الفكر والسلطة بلسان المثقف المهمّش لا المثقف الرسمي.

كان يكتب وكأنه يكتب بدمه لا بحبره، شاهداً على زمن قاسٍ لم يرحم الفقراء ولا الأحرار.

جيل النهضة: الإصلاح من الداخل

من رفاعة الطهطاوي إلى جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وقاسم أمين، كان هؤلاء جسراً حيّاً بين تراث مأزوم وحداثة قلقة، يبحثون عن طريق إصلاح لا يقطع مع الجذور ولا يستسلم للجمود. لم يكن هؤلاء ثوريين بالمعنى السياسي الصارم، لكنهم كانوا عضويين بمعنى انخراطهم في أسئلة مجتمعهم: التعليم، المرأة، العقل الديني، الدولة الحديثة.

لم يكن هؤلاء مفكرين منعزلين، بل أبناء مرحلة قلقة، يحملون في صدورهم أسئلة الناس قبل أن يحملوا مشاريع الإصلاح.

لقد أدرك هؤلاء أن النهضة لا تقوم بالقطيعة المطلقة مع الماضي، ولا بالاستسلام الكامل للغرب، بل بإعادة قراءة الذات، وتفكيك الجمود، وفتح نوافذ جديدة للعقل. كانوا «عضويين» لأنهم خرجوا من المكتبات إلى المجالس الشعبية، ومن النصوص القديمة إلى أسئلة الحاضر الملحة.

كيف يعمل المثقف العضوي العربي؟

المعرفة بوصفها أداة تحرر

عمل المثقف العضوي على تطوير خطاب فكري يجيب عن أسئلة الواقع: عبد الله العروي اشتغل على مفهوم الحرية والتاريخانية (هي منهج فكري وفلسفي يرى أن كل الظواهر البشرية، الثقافية، السياسية، والفكرية (بما فيها الدين والقيم) لا يمكن فهمها بشكل صحيح إلا بوضعها في سياقها التاريخي الخاص، وتفسيرها كناتج لتطورات تاريخية محددة وليس كحقائق ثابتة أو مطلقة)، ومحمد أركون مارس نقداً

جذرياً للعقل الإسلامي، وهشام شرابي كشف البنية الأبوية العميقة في المجتمع العربي. لم تكن هذه المشاريع ترفاً فكرياً، بل محاولة لفهم أسباب الانسداد التاريخي وسُبل تجاوزه.

كانت أفكارهم محاولة لفهم سبب الألم قبل البحث عن لغة للشفاء.

النقد عبر الأدب والفن

لم يقتصر الفعل العضوي على الفلسفة، بل اتخذ أشكالاً فنية متنوعة: في شعر محمود درويش وأمل دنقل، وفي روايات صنع الله إبراهيم ومحمد شكري، وفي رسومات ناجي العلي، تحول الفن إلى لغة شعبية للمقاومة. لم يكن الأدب هنا زينة ثقافية، بل ساحة مواجهة رمزية مع القهر والهزيمة والنسيان.

هنا صار الشعر خبزاً روحياً، وصارت الرواية شهادة، وصارت الرسمة صرخة في وجه النسيان.

التنظيم والتعليم والتعبئة

انخرط المثقف العضوي في العمل المؤسسي: أسس مجلات، وشارك في الحركات السياسية والنقابية، وقاد مشاريع تعليمية كما فعل طه حسين حين جعل التعليم حقاً عاماً. لقد أدرك أن الثقافة لا تعيش في الكتب وحدها، بل في المدرسة والجامعة والشارع والمؤسسات المدنية.

العوائق: حين يُحاصر الفكر

واجه المثقف العضوي العربي منظومة متشابكة من الموانع:

سياسياً، اصطدم بالأنظمة الاستبدادية التي رأت فيه خطراً دائماً. فكان القمع، والسجن، والنفي، والرقابة، مصيراً لكثير من المثقفين.

اقتصادياً، عانى من التبعية المادية، وضعف التمويل الثقافي، وتحول الثقافة إلى سلعة استهلاكية، وهجرة العقول إلى الخارج.

ثقافياً ودينياً، واجه صعود بعض الخطابات الأصولية، والصراع بين التقليد والحداثة، وغياب ثقافة الحوار، وانتشار الرقابة الذاتية والخوف الاجتماعي. مؤسسياً، عانى من ضعف المجتمع المدني، وبيروقراطية المؤسسات الرسمية، وتشرذم المثقفين، وغياب مشروع عربي جامع.

فكرياً، واجه أزمة المنهج، والانفصام بين النظرية والممارسة، وهيمنة الأيديولوجيات الجامدة التي تحوّل المثقف إلى مكرر شعارات لا منتج أسئلة.

نماذج عربية: وجوه متعددة للعضوية

مالك بن نبي: هندسة الحضارة

قدّم بن نبي مشروعاً حضارياً متكاملاً حول «القابلية للاستعمار»، ورأى أن المشكلة ليست في الاستعمار الخارجي فقط، بل في الاستعداد

الداخلي للخضوع. ربط بين بناء الإنسان وبناء المجتمع، وحاول أن يقدم هندسة فكرية للنهضة تنطلق من إعادة صياغة الذات العربية المسلمة.

محمد عابد الجابري: جراحة العقل

قاد الجابري مشروع نقد العقل العربي، محاولاً تفكيك البنى المعرفية التي تعيق النهضة. في سلسلته الشهيرة، مارس جراحة فكرية في الذهنية العربية، مميزاً بين العقل البياني والعقل البرهاني والعقل العرفاني، ساعياً لتحديد مواضع الخلل والجمود.

نوال السعداوي: صوت المرأة المتمرد

جسدت السعداوي المثقف النسوي العضوي، وربطت بين تحرر المرأة وتحرر المجتمع. دفعَت ثمن مواقفها سجناً وتشويهاً وتكفيراً، لكنها ظلت صوتاً صارخاً ضد النظام الأبوي بكل تجلياته الدينية والاجتماعية والسياسية.

عبد الوهاب المؤدب: البحث عن حداثة عربية

جمع المؤدب بين الإبداع الأدبي والنقد الثقافي، وبحث عن طريق عربي خاص نحو الحداثة. عبّر عن أحد مسارات التجربة التونسية في البحث عن صيغة للتوفيق بين الأصالة والمعاصرة، بين الهوية العربية الإسلامية والانفتاح على العالم.

أحمد عبد الله رزة: المثقف الثوري

مثّل رزة نموذج المثقف الثوري الذي جمع بين الفكر والممارسة الطلابية والنضال السياسي. كان من أبرز منظري وناشطي اليسار المصري الجديد، وساهم في بلورة الوعي الثوري لجيل الستينيات والسبعينيات.

نبيل الهلالي: قديس اليسار المصري المنشق عن النخبة

يمثل نبيل الهلالي نموذجاً استثنائياً للمثقف العضوي المنشق عن نخبته الأرستقراطية، حيث كان ابن أحد آخر رئيس وزراء مصر في العهد الملكي (نجيب الهلالي (باشا)). اختار الانحياز للطبقات الكادحة، وانضم للحركة الشيوعية المصرية منذ ١٩٤٨. عُرف بلقب «محامي الشعب» لدوره البارز في الدفاع عن المعتقلين السياسيين وقضايا العمال، مثل انتفاضة الخبز عام ١٩٧٧. أسس حزب الشعب الاشتراكي

عام ١٩٨٧، وجسد بمسيرته إمكانية تحول المثقف من منتج للنظام إلى ناقد جذري له، دافعاً ثمناً شخصياً من الاعتقال والمضايقة في سبيل مبادئه.

فلسطين: حيث يصبح المثقف مقاتلاً رمزياً

في الحالة الفلسطينية، بلغ مفهوم المثقف العضوي ذروته الدراماتيكية، حيث اختلطت القضية الوطنية بالوجود الشخصي، والهوية بالفن، والمقاومة بالذاكرة.

إدوارد سعيد: المثقف العالمي

جمع سعيد بين الأكاديمية العالمية والنضال السياسي، وحوّل كتاب «الاستشراق» إلى معركة فكرية ضد الهيمنة الغربية. كان نموذجاً للمثقف العضوي الذي يعمل على جبهتين: داخل المؤسسة الأكاديمية الغربية لإعادة قراءة المركزية الأوروبية، وخارجها للدفاع عن القضية الفلسطينية.

محمود درويش: ذاكرة الشعر

جعل درويش من الشعر ذاكرة حيّة للشعب الفلسطيني، وحافظ على استقلاله النقدي داخل القضية. تحول شعره من تعبير عن الثورة إلى تأمل في الهوية والمنفى والوجود، مجسداً تطور الوعي الفلسطيني من السياسي إلى الوجودي.

ناجي العلي: ضمير الشعب

جعل العلي من «حنظلة» ضميراً شعبياً دائماً، ودفع حياته ثمناً لجرأته. كانت رسوماته لغة بصرية مباشرة تخاطب الجميع، وتحولت إلى أيقونات للمقاومة اليومية.

غسان كنفاني: المثقف الشامل

جمع كنفاني بين الرواية والسياسة والصحافة، واستشهد لأنه جسّد خطورة الكلمة على الاحتلال. كان نموذجاً للمثقف المنخرط تماماً في المشروع الوطني، حيث كان ناطقاً رسمياً للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

المثقف العضوي بين النظرية والناس

المثقف العضوي العربي لا يعيش في الكتب فقط، بل في الشارع، في المدرسة، في المخيم، وفي تفاصيل الحياة اليومية. عضويته لا تُقاس بانتمائه إلى حزب، بل بانتمائه إلى معاناة الناس. يشعر بألمهم قبل أن يحلله، ويصغي لقصصهم قبل أن يحولها إلى مفاهيم. إنه ذلك الشخص الذي يرفض الفصل بين الفكر والممارسة، بين المعرفة والالتزام.

أنه مثقف يسمع أنين الناس قبل أن يسمع تصفيق الجمهور، ويختار الصدق ولو خسر الشهرة.

في العصر الرقمي، بات مطالباً بمواجهة الاستبداد والتفاهة معاً. فوسائل التواصل منحت حرية واسعة، لكنها أغرقت الفضاء العام بالسطحية والانفعال. وهنا يبرز التحدي الأخلاقي: كيف يحافظ المثقف على العمق دون أن ينفصل عن الجمهور؟ وكيف يكون قريباً من الناس دون أن يتحول إلى شعبوي؟ وكيف يواجه تحدي «ثقافة الصورة» السريعة بثقافة القراءة والتفكير البطيء؟

على المستوى الأخلاقي، لا يبدو المثقف العضوي بطلاً أسطورياً، بل إنسان هشّ، يخاف ويتردد، لكنه يختار الوقوف في صف الحقيقة.

حتى حين يكون هذا الاختيار مكلفاً، وحين

يصبح الطريق أكثر وحدةً وخوفاً. إنه لا يعصم نفسه من الخطأ، لكنه يرفض الصمت حين يصبح الصمت خيانة للمعنى. يعرف أنه قد يدفع ثمناً باهظاً لمواقفه، لكنه يدرك أن الثمن الأكبر هو خيانة الضمير.

قوته ليست في يقينه المطلق، بل في شجاعته على الشك، وعلى الاعتراف بالخطأ، وعلى الاستمرار رغم التعب.

التحولات الكبرى وتحديات المرحلة

ما بعد الربيع العربي: الفوضى والاستعادة

أفرزت ثورات الربيع العربي واقعاً جديداً للمثقف العضوي. من ناحية، فتحت آفاقاً للحرية والتعبير، ومن ناحية أخرى، أطلقت العنان للفوضى والعنف والصراعات الطائفية. وجد المثقف نفسه في موقف صعب: كيف يدعم التغيير دون أن يتحول إلى أداة في صراعات سياسية أو أيديولوجية مغلقة؟

العولمة والهوية: الاختبار الأصعب

يواجه المثقف العضوي العربي اليوم تحدي العولمة بكل تناقضاتها: من ناحية، تفتح آفاقاً للتواصل مع العالم، ومن ناحية أخرى، تهدد الخصوصيات الثقافية. كيف يدافع عن الهوية دون الانغلاق؟ وكيف ينفتح على العالم دون الذوبان؟ هذه الأسئلة أصبحت مركزية في فكر المثقف المعاصر.

الثورة الرقمية: فرص ومخاطر

قدمت الثورة الرقمية أدوات جديدة للمثقف العضوي: وسائل التواصل الاجتماعي، المدونات، البودكاست، القنوات البديلة. لكنها أيضاً جلبت مخاطر جديدة: انتشار الشائعات، ثقافة الإلغاء، السطو الفكري، تحويل النقاش إلى صراع هوياتي. أصبح على المثقف أن يتعلم لغة جديدة، وأن يطور استراتيجيات جديدة للتواصل والحوار.

أصبح عليه أن ينافس الضجيج بالصوت الهادئ، وأن يزرع معنى في أرض تستهلك الكلمات بسرعة مذهلة.

أفق جديد: نحو مثقف عضوي مختلف

يتطلب المستقبل إعادة تعريف دور المثقف: كمَنْ يصل بين التراث والمعاصرة، بين الهوية والعالم، بين المعرفة والحياة اليومية. لم يعد المثقف مجرد ناقل للمعرفة، بل أصبح وسيطاً بين ثقافات، ومترجماً بين لغات، وجسراً بين أجيال.

ويتطلب تطوير الآليات: باستخدام الوسائط الرقمية بذكاء، وبناء شبكات فكرية عابرة للحدود، وتطوير لغة تخاطب الأجيال الجديدة. يجب أن يتعلم المثقف أن يكون مرناً دون أن يتخلى عن مبادئه، وأن يكون شعبوياً دون أن يكون ساذجاً.

كما يتطلب بناء مؤسسات مستقلة: مدارس،

جامعات، دور نشر، مجلات، منصات رقمية. لا يمكن للمثقف أن يعمل في الفراغ، بل يحتاج إلى بيئة مؤسسية تدعم استقلاليته وتحميه من الضغوط.

وأخيراً، يتطلب صياغة مشروع ثقافي عربي جامع يتجاوز القطرية الضيقة، ويجمع بين الخصوصية والعالمية. مشروع لا ينطلق من العدم، بل من قراءة نقدية للتراث، وفهم عمق للواقع، ورؤية واضحة للمستقبل.

المثقف العضوي كضرورة تاريخية

من أبي حيان التوحيدي إلى إدوارد سعيد ومحمود درويش، من أحمد نجيب الهلالي إلى نوال السعداوي، ظل المثقف العضوي في السياق العربي ذلك الإنسان الذي رفض أن يكون موظفاً لدى السلطة، أو معزولاً في برج عاجي. اختار أن يكون في قلب المعركة، حاملاً قلمه أو صوته أو فنه كسلاح في معركة الكرامة والحرية والعدالة.

المثقف العضوي ليس مفهوماً عابراً، بل ضرورة تاريخية متجددة. فكل مرحلة تصنع مثقفيها العضويين بأسئلتها الخاصة، مرة عبر الشعر، ومرة عبر الفلسفة، ومرة عبر الصورة الرقمية. لكن الجوهر يبقى واحداً: أن يكون الفكر في خدمة الحياة، وأن تكون المعرفة فعلاً من أفعال الحرية.

في عصرنا الحالي، حيث تنتشر اللامبالاة والاستسلام، حيث يتحول الفكر إلى ترف، والثقافة إلى سلعة، والتاريخ إلى نسيان، يبقى المثقف العضوي هو الحارس الأخير للذاكرة، والمنبه الدائم للضمير، والصوت الذي يرفض أن يصمت. إنه ليس حلاً سحرياً، بل هو إشارة استمرار، ودليل على أن الإنسان العربي لم يستسلم بعد، وأنه لا يزال قادراً على التفكير، والنقد، والحلم بمستقبل أفضل.

وهكذا، يبقى المثقف العضوي العربي هو الأمل الدائم في إمكانية تغيير واقع يبدو ثقيلاً ومستعصياً، لكنه ليس مغلقاً على المستقبل. لأنه حيث يوجد فكر نقدي، وحيث توجد كلمة حق، وحيث يوجد التزام بالعدالة، توجد إمكانية للتغيير. وهذا في النهاية هو معنى العضوية الحقيقي: أن تكون جزءاً من الحياة، لا مجرد متفرج عليها.

فحين يصمت الجميع، تصبح الكلمة موقفاً، وحين يخاف الجميع، يصبح التفكير شجاعة.

عالم الكتب

_الوسطية في القرآن الكريم

_القرآن وصناعة الدهشة

_الخطايا الأربع في تطبيقات المنهج الإيماني

_ قراءة في كتاب «الزلزال» لأحمد داوود أوغلو

عالم الكتب

إعداد: نجوى مصار سلطاني

اسم كتاب: القرآن وصناعة الدهشة

المؤلف: د. مشعل عبد العزيز الفلاحي

الناشر : دار القلم/ دمشق

عدد الصفحات: ٢٧١ صفحة من الحجم المتوسط

ينطلق المؤلف من فكرة أن القرآن كلام الله وليس كتاب تاريخ ولا موسوعة معلومات. فهو كتاب هداية يُعيد تشكيل الفكر وتربية الروح وإيقاظ الوعي على عالم أوسع من العالم المنظور، وينشئ في وعي من يتدبره بعمق حالة خارقة من الدهشة والانبهار ينفتح بهما القلب على نور الهداية إلى ما وراء العالم الحسي ويتحرّك العقل لتدبر آياته والعمل بما ترشده إليه آياته من جمال استقامة ودماثة خلق وواسع رحمة.

يقول مؤلفه: كثيرة هي المشاهد المدهشة في كتاب الله تعالى. غير أني بعثت لك في هذا الكتاب ما يُجري في مشاعرك الحياة، فسردت لك كل الآيات والأحاديث التي تدلك على كرامات هذا الكتاب وأثره في حياتك ودوره في صناعة مستقبلك. ودعمت ذلك بقصص ثابتة لأثره في شفاء الأمراض. ودوره في إسلام الكفار. وقدرته على صناعة التغيير. وإجابته على أكثر الأسئلة إلحاحا في حياتك. وبيان الطريق لتأهيل نفسك وأسرتك وبناء الحضارة الكبرى في واقع الحياة. وأحسب أنك ستبدأ معه رحلة التغيير الكبرى في مستقبل الأيام.

يحاول المؤلف أن يمزج فيه بين التأمل في ما تبثه آيات القرآن من دهشة في روع من يتلو كلام الله ويتدبره بحس إيماني مرهف وبين ما يسرده من قصص غاية في الروعة، وبين ما يتحدث به عن النفس والروح والغيب بنظم مؤثر لا يشبهه شعر ولا نثر ولا سجع ولا سحر..

فالقرآن هو الكتاب الوحيد الذي يملك هذه القدرة الخارقة من الدهشة التي تعيد صياغة العقل وطمأنة القلب وإيقاظ الآنسان من غفلة الذهول عن رسالته في الحياة وعما ينتظره من حساب بعد موته برصد حركته اليومية وبإعطاء معنى للحياة والابتلاء والوجود..

وكل هذا يحدث عندما يتعامل الإنسان مع القرآن تعاملاً حيًا متحركا به، يعيشه كأنه يتنزل عليه.

ويفسر المؤلف الدهشة القرآنية بأنها حالة الانبهار الحابس للأنفاس عندما يتوالى إيقاع آيات السوره وكأنها دقات قلب يعلن أنه حي نابض بأمر الله فيحدث في كيان الإنسان يقظة داخلية وشعورا بالخضوع والخشوع وانكشاف حقائق الإنسان والكون من حوله. وإدراك عظمة الله في تفاصيل ما تكشف عنه النصوص فيكتسب المؤمن تجربة روحية جديدة ويقينا راسخا في أعماق النفس يصنع التحول من داخلها.

فالدهشة هي الباب الأول للإيمان العميق. ذلك أن للقرآن تأثيرا في معالجة ما بالنفس من ظن وريب وشك وتردد.. بل إن الفرآن الكريم يعالج في النفس الترتر والقلق والخوف والهلع .. بخطاب مطمن متكرر بصيغ كثيرة في أغلب السور، ويعيد للإنسان اليقين في الغيب والثقة بالله جل جلاله. ويبدد سحب اليأس في تصوره بتوكيده أن الله مع المتقين والذين هم مؤمنون. ويدعو إلى الرحمة الواسعة، والتجدد، وفتح أبواب الفرج باستعراض قصص الأنبياء والمرسلين ومسيرة المصلحين وما ابتلاهم الله به من اختبارات صعبة فصبروا واحتسبوا فانتصروا بصبرهم وفازوا باحتسابهم

والمدهش أيضا ما فيه من قوة دافعة لتحريك مشاعر الهداية نحو غاية سامية تحمل الانسان مسؤولية أقواله وأفعاله.

في فقه القصص القرآني صناعة وعي يعرضها علينا في شكل عبر وعظات بإيجاز عجيب يكشف عن سنن الله في التغيير و يقدّم نماذج بشرية تشبه ما نحن عليه من ابتلاء ورغب ورهب.. يربّي فينا ملكة الصبر والتحمل والثبات والتضحية والإيثار من خلال ما مر به رسل الله وأنبياؤه من ابتلاءات على قدر إيمانهم كما حصل مع نبي الله نوح وإبراهيم ويوسف وموسى.. عليهم السلام. وما أصاب أصحاب الكهف وأصحاب الأخدود.. هي مسارات صمود يقدمها لنا الوحي دروس تربية وفداء وتضحيه على طريق الإيمان في كل زمن.

ومن المدهش أيضا منهجية التعامل مع القرآن إذا تدبرناه بوعي وحضور وتأملنا معانيه من داخل النص بحثا عن حقيقة الرسالة التي يخاطب الله جل جلاله بها قلوبنا كأن الوحي يتنزل علينا اليوم.

فالتدبّر العميق الهادئ الواعي لكلام الله يؤثر في النفس تأثيرا يجعل المعنى يجدد نفسه فينا كلما تجدد الظرف حتى تتحول الآية إلى واعظ داخلي يوجه تفكيرنا وسلوكنا ويرسم معالم شخصيتنا في الأخلاق وفي علاقتنا بمن حولنا من الناس، ويضبط سمعنا وبصرنا ولساننا وطريقة أكلنا وشربنا.. ومراقبة كل ما يصدر عنا بيقين أننا نتحرك تحت سمع الله وبصره. ولكن هذا الوعي لا يأتي دفعة واحدة وإنما يتم تحصيله بالمراجعة والدربة والتكرار.

فالقرآن كتاب تربية وتزكية لمن داوم على قراءته وتلاوته وتدبر إياته فيكتشف ما يطرأ على شخصيته من تغير إيجابي على مستوى العقل والقلب والضمير . وما يغنمه من تهذيب للأخلاق ومن تلطيف للمشاعر ومن تقويم للسلوك

ومن تحرير العقل والقلب من التعلق بالدنيا ومن تثبيت للقيم على أساس التوحيد كأن في كل سورة علاجا لمرض في أنفسنا، وفي كل آية حلا لمشكلة داخلية فينا بما يفتحه في دهاليز النفس من منافذ الدهشة بالإيقاع اللغوي الفريد وبالصور البيانية المكثّفة وبالحقائق العلمية والكونية الدقيقة المدهشة. وبالشفافية الروحية الآسره. وبالأسئلة العميقة التي يطرحها القرآن على عقل الإنسان. فالدهشة ليست في الإعجاز وحده، بل في اللمسة القلبية التي يُحدثها القرآن داخل النفس فينشئ فيها تغييرًا داخليًا عميقًا ووعيًا متجددًا. وإيمانًا راسخًا. وإحساسًا دائمًا بعظمة الخالق جل جلاله. وما يبثه فيها من استعداد للعمل والصبر والإيثار

فالدهشة القرآنية تعني ذلك الشعور الذي يوقظ الروح كلما عرفت طريقها إلى خطاب الوحي بقراءة حاضرة يدرك صاحبها أن الله جل جلاله يكلمه بكلام معجز ويقول له جدد حياتك بالأيمان.

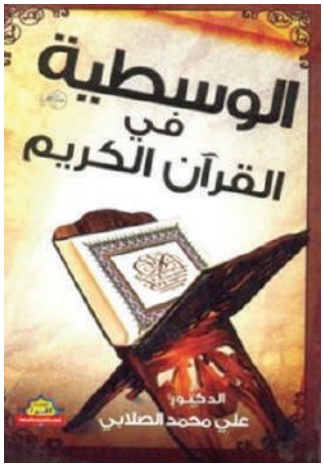

اسم الكتاب: الوسطية في القرآن الكريم

المؤلف : د علي محمد محمد الصلابي

الناشر: دار الأصالة للنشر والتوزيع / إسطنبول

عدد الصفحات: يقع في ٦٠٠ صفحة من الحجم المتوسط

يعرض هذا الكتاب مفهوم الوسطية، كما ورد في القرآن الكريم، ويقرر أنها خاصة أساسية من خصائص الإسلام، وهي العقيدة التي تحكم

علاقة الإنسان بربه، وبنفسه، وبالناس من حوله، وبالحياة عمومًا. والوسطية تعني العدل، والاتزان، والواقعية بعيدا عن الإفراط والتفريط. وليست – كما يفهمها البعض – موقفًا وسطا بين طرفين، بل هي انحياز للحقيقة التي هي الحق الذي وصف الله به الأمة الإسلامية لتكون شاهدة على الناس كما شهد عليها رسول الله صلى الله عليه ببلاغ وبيان وعدل.

وهي وسطية في العقيدة بتوحيد خالص لله وتسليم بالغيب كما جاء في الكتاب والسنة بغير غلو في تقديس الأنبياء والأولياء. ولا تدنيس الخصوم. والتوسط في النظرة للمادية والروح معا فهما متكاملان ومتوازنات كالجسد والروح والعقل والقلب.

وبهذا تتحقق الوسطية في العبادة التي ليست دعوة للانقطاع عن الدنيا ولا غرقًا فيها. بل هي توازن بين العبادة والعمل، وبين حق الله وحق النفس وحق الناس وحقوق ما خلق الله.

وهذا يوجب وسطية في الأخلاق والسلوك بالترفق، والعفو، والإحسان دون ضعف ولا تماوت. والنهي عن الظلم، والتكبر، والفجور في الخصومة .وأخلاق المؤمن هي الطريق إلى خلافة الأرض.

وهناك وسطية في التشريع تراعي الضرورات، والمصالح، وطبائع البشر. ورفع الحرج ودفع المشقة والترفق والتيسير. ولا تقام الحدود إلا بشروط دقيقة غايتها تحقيق العدل والرحمة والأمن في الارض.

ووسطية السلوك الاجتماعي لا تقبل التعصب بجميع أنواعه (القبلي والعرفي واللغويوالجنسي والحزبي..). وتدعو إلى التعاون، والحوار، ونبذ العنف وتربية مجتمع يقوم على القسط والعدل.

الوسطية في بناء الفرد والأمة

فهي وسطية شاملة تبدأ بتربية الفرد المسلم: قوة في الحق. ورحمة في التعامل. وعقل يوازن بين الأمور. وروحٌ متصلة بالله دون انقطاع عن الحياة

إلى وسطية الامة في نهضتها وتطورها .فالأمة لا تنهض إلا بوسطية تعادي التطرف والغلو. وتدعو إلى العلم، والعمل، والشورى، وحقوق المواطنة وقيمة الإنسان وكرامته والجمع بين الإيمان والعمل وبين العبادة والبناء الحضاري.

فالتطرف ليس من الإسلام، بل هو انحراف عن منهجه وتعاليمه. والوسطية ليست شعارًا بل تعاليم ربانية لإقامة العدل ومعالجة اختلالات الحياة ضمن نظرة متكاملة في العقيدة والعبادة والأخلاق والتشريع وفي الحياة الفردية والاجتماعية، وفي البناء الحضاري، وبهذا التصور يمكن للأمة الإسلامية النهوض من جديد لتكون أمة وسطا شاهدة على الناس.

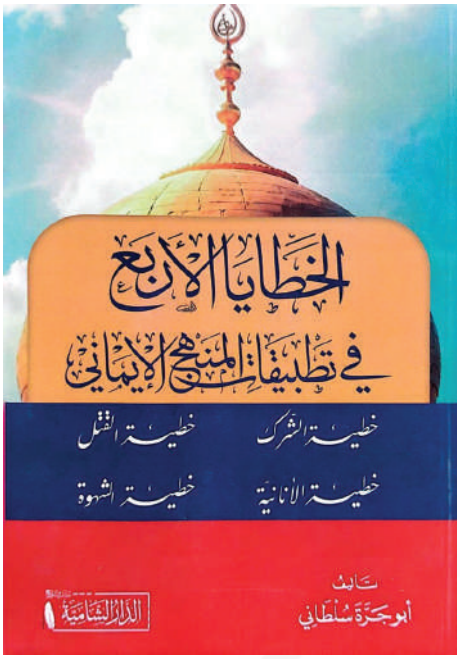

اسم الكتاب : الخطايا الأربع في تطبيقات المنهج الإيماني

المؤلف: أ. أبوجرة سلطاني

الناشر: دار الشامية. ٢٠٢٤

الحجم: ٢٣٦ صفحة من الحجم المتوسط

مضمون الكتاب: تمت صياغة الكتاب منهجيا في مقدمة وخمسة فصول (أعظم المعجزات خلق الإنسان. المنهج بين مثاليات النصوص وإكراهات الواقع. أخطاء تتكرر والسبب واحد. أساليب الشيطان في الغواية. الشيطان في القرآن: الخطايا الأربع) وخلاصات وخاتمة.

ينطلق المؤلف من تأمل ديني عميق في أصل الإنسان، كما ورد في القرآن الكريم، ويربط عذا الاعتقاد القرآني بتحديات المعرفة الحديثة (نظرية داروين في أصل الأنواع حول التطور والنشوء والارتقاء). ويبني تصوره العام على فكرة أنه حدث في تاريخ الإيمان – بعد خلق آدم عليه السلام– أربع خطايا كبرى هي أصل كل خطيئة. وهي بذرة كل انحراف طرأ على مسيرة تاريخ البشرية منذ خلق الله آدم عليه السلام إلى يومنا هذا . فهي أمهات الكبائر:

* أولها: الشرك بالله: المرتبط بفساد عواطف القلب تجاه عقيدة التوحيد. ويفصل فيها القول.
* وثانيها: القتل العمدي المرتبط بطغيان القوة من يوم قتل قابيل أخاه هابيل إلى زمن الإبادة الجماعية.
* وثالثها: الشهوة التي تفتح على الإنسان أبواب السقوط والعري والتردي. منذ أكل آدم وحواء من الشجرة المحرمة إلى اليوم.
* ورابعها: الأنانية التي وقع فيها إبليس برده أمر الله تعالى وبرفضه السجود لآدم عليه السلام. وشايعه جميع فراعنة الأرض. وهي خطيئة يقع فيها كل أناني يقول: أنا ..أنا.

*وحاول المؤلف التوفيق بين الوحي والعلم بالربط بين النص الديني وبين ثمار العلم الحديث، في الكشف عن حيل الشيطان وفي بيان ضعف الإنسان ليدلل على سلامة المنهج الذي اعتمده في بيان أصول كل خطيئة. مؤكدًا أن بعض النظريات العلمية تُطرح كتهديد للإيمان إذا لم تُفهم ضمن سياق معرفي يعزز القيم الأخلاقية ويثبت عقيدة اليقين بالغيب. ويبين أنه مع الزمن تحولت هذه الخطايا الأربع إلى منطلقات لكل انحراف معرفي ولكل شهوة نفسية ولكل سلوك عملي.. في الأزمنة كلها فيأتي وحي السماء رحمة من الخالق جل جلاله ليقوم هذه الانحرافات ويدعو إلى تداركها عن طريق التوبة وإصلاح النفس والرجوع إلى الله والتمسك بالقيم الإسلامية.

ويحلل المؤلف ظاهرة الانحلال الأخلاقي والانحراف السلوكي والتفسخ المجتمعي بقراءة كتاب الله قراءة متحركة في الزمن، وبأسلوب بلاغي يميل إلى التأمل الروحي أكثر من استغراقه في التحليل الجدلي بخبرة دعوية مستمده من آيات الكتاب الحكيم كونه داعية ومفكرا ومصلحا اجتماعيا.

*يغوص المؤلف في أتون المعركة الناشبة بين الإنسان والشيطان منذ بداية الخلق. وهي معركة مفتوحة بين الخير والشر والمعروف والمنكر والعدل والظلم والفضيلة والرذيلة.. الخ .والكتاب في مجمله محاولة لردّ الاعتبار للغيب في مواجهة التحديات المعرفية المعاصرة في سياق الجدل القائم بين الدين والعلمانية. وهو محاولة لبلورة رؤية أخلاقية تجعل من هذه الخطايا الأربع معالم إيمانية لفهم طبيعة الصراع الحق والقوة.

وبقراءة دعوية يمكننا النظر إلى مضمون هذا الكتاب بأنه طرح جديد لعقيدة المسلمين وإيمانهم بالغيب من زاوية أخرى. فهو إضافة إلى مكتبة الفكر الإسلامي المعاصر، خاصة لمن يهتم بالحوارات بين الدين والعلم، وبين الفكر التقليدي والحديث بالانتقال من قضية علمية (أصل الإنسان) إلى تأمل أخلاقي دعوي يوضح العلاقة بين الاعتقاد والسلوك بعملية معقدة سببها هذه الخطايا.

قراءة في كتاب "الزلزال" لأحمد داوود أوغلو

م. مروان الفاعوري
الأمين العام للمنتدى العالمي للوسطية

مقدمة عامّة:

يأتي كتاب "الزلزال" في سياق رؤية فلسفية–اجتماعية–تاريخية عميقة يقدّمها أحمد داوود أوغلو حول الحدث الذي ضرب جنوب تركيا وشمال سوريا في فبراير ٢٠٢٣، والذي اعتبره الكاتب ليس مجرد كارثة طبيعية، بل "لحظة اختبار حضاري" تكشف بنى المجتمع والدولة والثقافة، وتضع مستقبل البلاد على مفترق طرق. يقرأ أوغلو الزلزال كمرآة تعكس الخلل في مؤسسات الدولة ونماذج التنمية، وفي الوقت نفسه يكشف قيم التضامن والقوة المجتمعية. الكتاب ليس رثاءً للخراب، بل رؤية نقدية لإعادة البناء المادي والروحي.

الصفحة الأولى: الكارثة كحدث حضاري وليس جيولوجيًا فقط

يرفض داوود أوغلو النظر إلى الزلزال بوصفه نتيجة حركة الصفائح الأرضية فحسب، بل يضعه ضمن إطار فكري– تاريخي يقوم على ثلاثة مستويات:

البعد الطبيعي: الكارثة نتاج قوانين كونية لا مجال لإنكارها، وهو يشدد على أن الطبيعة ليست خصمًا للإنسان، بل مجالًا للاختبار والمسؤولية.

البعد الاجتماعي والسياسي: حجم الدمار وعدد الضحايا يعكسان مستوى الجاهزية، نوعية البنى التحتية، نماذج التنمية، مستوى الفساد، دور المؤسسات وطريقة اتخاذ القرار.

البعد القيمي الحضاري: يقيس أوغلو مستوى استجابة المجتمع والدولة من خلال معيارين:

قوة التضامن الشعبي

وفاعلية مؤسسات الدولة

ويرى أن الأزمة تكشف "روح الأمة" بقدر ما تكشف الخرائط الزلزالية.

منذ الصفحات الأولى يربط الكاتب بين التاريخ والجغرافيا والهوية والإنسان، ويطرح سؤالًا كبيرًا:

هل سيعيد هذا الزلزال تشكيل الدولة والمجتمع في تركيا؟

الصفحة الثانية: نقد الدولة ونموذج التنمية قبل الكارثة

يرى أوغلو أن حجم الدمار لم يكن نتيجة للزلزال نفسه، بل نتيجة لتراكم أخطاء تاريخية وسياسات تنموية لم تُعطِ الأولوية للسلامة المجتمعية. يتحدث عن:

التوسع العمراني غير المنضبط:

النمو الاقتصادي السريع أدى لبناء مدن كاملة فوق خطوط زلزالية دون مراعاة المعايير.

ضعف الرقابة على البناء:

يشير إلى علاقة بين الفساد والموت الجماعي، لأن الرخاوة في قوانين البناء تعادل "حكمًا بالإعدام على السكان".

فكرة "الدولة المركزية":

ينتقد مركزية القرار، إذ عطّلت سرعة الحركة في الأيام الأولى، بينما كان المجتمع أسرع في الإنقاذ من الأجهزة الرسمية.

غياب التخطيط العلمي:

يرى أن تركيا رغم تقدمها السياسي والاقتصادي بقيت متأخرة معرفيًا في إدارة المخاطر.

يؤكد أن الكارثة لم تُنتج خللًا جديدًا، بل كشفت خللًا قديمًا متجذرًا.

الصفحة الثالثة: المجتمع أقوى من الدولة

يركز الكتاب على مشهد التضامن الشعبي الذي أعاد لأوغلو ثقته بالإنسان التركي. فقد وجد أن المجتمع – وليس السلطة كان في الطليعة: تدفقت المساعدات من ولايات بعيدة، تطوع آلاف الشباب، فتحت البيوت والخيام والمساجد أبوابها، ظهرت مبادرات عفوية لإنقاذ الضحايا، يسمي ذلك: "لحظة الأمة"، ويرى أن هذا التضامن هزم الخوف والعزلة، وأثبت أن الأمم لا تقاس بقوة أبنيتها، بل بقوة روحها.

ثم ينتقل إلى البعد الإنساني العميق:

كيف أن مشاهد الألم والفقدان كشفت هشاشة الإنسان، لكنها في الوقت نفسه فجرت طاقات الإحساس والرحمة، وهو يحذّر من خطر أن يمر المجتمع على المأساة دون أن يتغير.

الصفحة الرابعة: نحو دولة جديدة – رؤية إصلاحية

في هذا القسم يقدم أوغلو أكثر أجزاء الكتاب جرأة، إذ يدعو إلى ما يسميه "جمهورية ثانية أخلاقية" تنبثق من رماد الكارثة. أهم أفكاره

الإصلاحية: الانتقال من دولة السلطة إلى دولة الخدمة: الدولة ليست مالكًا للأرض والبشر، بل خادمة لمصالحهم، ودورها حماية الحياة أولًا.

المؤسسات فوق الأشخاص: ينتقد هيمنة الفرد والقرار الفردي، ويطالب بسيادة القانون وشفافية الإدارة.

العدالة في التنمية الإقليمية: المحافظات المنكوبة ظلت مهمشة اقتصاديًا وسياسيًا، ويجب دمجها في قلب التنمية الوطنية.

إعادة بناء المدن: الاعتماد على هندسة جديدة تراعي: الجغرافيا، المناخ، التاريخ، البعد الإنساني، وليس مجرد إسمنت وحديد.

إعادة بناء الأخلاق:

يعتبر أن الزلزال كشف أزمة ضمير أكثر مما كشف أزمة عمارة، ويقول إن البناء الحقيقي يبدأ من الهوية والقيم. يرى الكاتب أن الدولة إذا لم تغيّر فلسفتها ستتكرر الكارثة بشكل أعمق.

الصفحة الخامسة: خاتمة فلسفية – الزلزال بوصفه نداءً للمستقبل

في الخاتمة يعود أوغلو إلى رؤيته الحضارية التي تربط الإنسان بالكون، ويؤكد أن الزلزال يمثل درسًا يعلّم الإنسان:

معنى الحدود أمام قوة الطبيعة، قيمة التضامن، هشاشة العمران المادي، مركزية البعد الروحي في حياة البشر

يقول إن الأمم التي لا تتعلم من الجراح تموت، وإن اللحظة التي بدت مأساوية قد تكون لحظة ولادة جديدة.

ويختم بفكرة محورية: أن الإصلاح ليس خيارًا بعد الزلزال، بل شرط بقاء.

وفي خلاصة مركزّة للكتاب فإن الزلزال عند أحمد داوود أوغلو حدثٌ كاشفٌ، فضح خلل الدولة والبناء والتنمية، وأظهر قوة المجتمع وروح التضامن. يدعو الكتاب إلى إعادة تأسيس تركيا على قيم العدالة وخدمة الإنسان وعلمية التخطيط واحترام الطبيعة، معتبرًا أن ما بعد الزلزال ليس استمرارًا لما قبله.

مدارات ونوافذ أدبيّة

- الدكتور محمود إبراهيم سيف:
  سيرة العقل والضمير
- سلمى وليلى في الشعر
  الصوفي: حين يصبح الرمز برزخاً
  لشهود الحق

الدكتور محمود إبراهيم سيف
سيرة العقل والضمير

سمير اليوسف
كاتب وقاص أردني

ليس من اليسير أن يُكتب عن رجلٍ مثل الدكتور محمود إبراهيم سيف كتابةً تُنصفه؛ فحياته لا تُختزل في مناصب أو مؤلفات، بل تتجاوز ذلك إلى فضاء الرمز. إننا حين نتأمل تجربته لا نقف أمام أستاذ جامعي وباحث في الأدب العربي والإسلامي فحسب، بل أمام نموذج إنساني جمع بين الصرامة العلمية، والصفاء الروحي، والوعي الحضاري، والتوازن بين الأصالة والانفتاح.

وُلد في طولكرم عام ١٩٢٤ في بيئة فلسطينية ريفية محافظة غرست فيه قيم الصدق والبساطة والانتماء. ثم انفتح وعيه على العالم حين انتقل إلى لندن للدراسة في جامعة لندن، حيث نال البكالوريوس والماجستير في الدراسات العربية والإسلامية، ثم الدكتوراه في الدراسات العربية عام ١٩٦٥. ولم تكن رحلته انبهارًا بالغرب ولا انغلاقًا عنه، بل تحصيلًا معرفيًا واعيًا عاد منه أكثر علمًا دون أن يفقد هويته.

ينتمي محمود إبراهيم سيف إلى جيل من المثقفين الذين عاشوا النكبة وشهدوا تشظي الوطن، فتكوَّن وعيهم على أسئلة الهوية والعدل والاختلاف. غير أنه لم يقع في خطاب الاستلاب أو الانغلاق، بل سلك طريقًا ثالثًا يقوم على الاعتراف بالتعددية والإيمان بأن الهوية ليست

جدارًا يعزل، بل جذورًا في الأرض وغصونًا تمتد نحو العالم.

ومن هنا تأتي أهمية قراءة سيرته؛ فهي لا تكتفي بتتبع مسار وظيفي، بل تحاول الكشف عن بنيته الفكرية والإنسانية، ذلك التوتر الخلاق بين المثال والواقع، بين القرية والعالم، بين النص والتاريخ، وبين الجامعة والجامع. لقد كان في حياته عالمًا، وفي حضوره قدوة، وفي غيابه فراغًا يصعب ملؤه.

حين نتأمل بداياته ندرك أنها لم تكن مجرد مراحل زمنية، بل المجال الذي تشكّل فيه وعيه. فقد نشأ في بيئة مشحونة بتحولات التاريخ والمجتمع، الأمر الذي دفعه مبكرًا إلى التساؤل عن الهوية وموقع الإنسان في عالم متغير. وهكذا تبلور وعيه في تفاعل دائم بين التجربة والتأمل، بين الواقع والفكرة.

لم يكن الجذر الوطني لديه شعارًا، بل مكوّنًا عميقًا في رؤيته للعالم؛ إذ رأى أن الهوية شرط للحوار لا وسيلة للإقصاء، وأن المثقف ليس مراقبًا محايدًا بل فاعل في تشكيل الوعي الجمعي. ومن هنا جاءت كتاباته مشبعة بروح المسؤولية، لا بوصفها التزامًا أيديولوجيًا ضيقًا، بل تعبيرًا عن إدراك عميق لدور الثقافة في المجتمع.

أما مساره العلمي فيكشف عن شخصية قارئة قبل أن تكون كاتبة، تبني معرفتها تراكميًا عبر الانفتاح على مصادر متعددة. ولذلك جاءت نصوصه مشدودة إلى التأسيس المعرفي أكثر من الزخرفة اللغوية. فقد كان يرى المعرفة إعادة صياغة للعالم في ضوء رؤية أخلاقية، وأن الفكر ليس ترفًا بل ضرورة وجودية.

كما اتسمت شخصيته بتوازن واضح بين الحس العملي والنزوع التأملي؛ فلم ينغلق في برج نظري، ولم يذب في تفاصيل الواقع دون أفق. وبذلك تحولت تجاربه الحياتية إلى مادة للتفكير، وأصبحت أفكاره مرتبطة بواقع ملموس.

أما مشروعه الثقافي فقد تجلّت فيه ملامح هذه الشخصية الناضجة. لم يكن كاتبًا بالمعنى التقليدي، بل صاحب رؤية ترى في الكتابة فعلًا حضاريًا يسهم في تشكيل الوعي الجمعي. فقد أدرك أن الثقافة ليست ترفًا فكريًا، بل أساس أي نهضة ممكنة.

واتسمت قراءاته بوعي نقدي هادئ يميّز بين الجوهر والعرض، ويتجنب الأحكام المتسرعة. كما نظر إلى الثقافة بوصفها عنصرًا في بناء الهوية الوطنية دون الوقوع في الانغلاق؛ إذ رأى أن الانتماء الحقيقي لا يتناقض مع الانفتاح، وأن الحفاظ على الخصوصية لا يعني رفض الحوار.

وقد تأسس مشروعه على رؤية بعيدة المدى، فلم تكن كتاباته مجرد توصيف للواقع، بل محاولة لإعادة مساءلته وتوجيهه. وكان يؤمن بما يمكن تسميته «أخلاقيات المعرفة»، حيث لا ينفصل الفكر عن المسؤولية، ولا تكون الكتابة حيادًا باردًا، بل فعلًا أخلاقيًا يقتضي الأمانة والوضوح.

وتكمن قيمة تجربته في هذا التوازن بين العقل والضمير، وبين النقد والبناء. لذلك لم يكن معارضًا لمجرد المعارضة ولا مؤيدًا لمجرد التأييد، بل منحازًا إلى المبدأ. ومن هنا يمكن القول إن مشروعه الثقافي أسهم في ترسيخ ثقافة الحوار وتعميق الوعي النقدي، وإعادة الاعتبار لدور المثقف بوصفه ضميرًا حيًا في مجتمعه.

القدس بين البحث والجهاد الثقافي:

لا يمكن قراءة سيرة محمود إبراهيم سيف دون التوقف عند موقع القدس في وعيه العلمي والوجداني؛ فهي لم تكن عنده موضوعًا للبحث أو رمزًا عاطفيًا عابرًا، بل مركزًا يلتقي فيه التاريخ بالهوية، والمعرفة بالمسؤولية. لذلك لم يرَ القدس قضية سياسية فحسب، بل أفقًا معرفيًا وأخلاقيًا يفرض على المثقف موقفًا واعيًا.

وقد أدرك أن أخطر ما يهدد القدس ليس الاحتلال المادي فقط، بل «الاحتلال السردي» الذي يسعى إلى السيطرة على الرواية وتزييف التاريخ. من هنا انخرط في مشروع علمي يعتمد الوثيقة والمخطوط والقراءة النقدية لإعادة تثبيت الحقائق في سياقها الصحيح. لم يلجأ إلى الخطاب الانفعالي، بل إلى البرهنة الهادئة، مؤمنًا بأن الدفاع عن القدس يبدأ بالعقل قبل العاطفة.

بهذا المعنى يمكن فهم جهده بوصفه شكلًا من «الجهاد الثقافي»، جهاد يقوم على الكلمة الدقيقة والتحقيق المنهجي واستعادة الذاكرة من محاولات الطمس. فقد كان يرى أن المعركة حول القدس هي أيضًا معركة مفاهيم وتأويلات، وأن تثبيت المعنى في النصوص التاريخية جزء من حماية الهوية.

وتتجلى خصوصية مقاربته في توازنها بين الانتماء والمنهج؛ فهو الفلسطيني الذي يحمل القدس في وجدانه، والباحث الذي يرفض أن تحل العاطفة محل الدليل. لذلك جاءت كتاباته صادقة الانتماء ومنضبطة علميًا، لأن الدفاع عن مدينة بحجم القدس يحتاج إلى عقلٍ هادئ وقلبٍ مشتعل في آنٍ واحد.

تعامل مع القدس بوصفها مركزًا للمعنى في الوعي العربي الإسلامي، ملتقى للنبوات ومرآة للصراع الحضاري. ولذلك لم يكن بحثه في تاريخها استغراقًا في الماضي، بل قراءة للحاضر واستشرافًا للمستقبل، حيث تتحول الوثيقة إلى لبنة في بناء الوعي.

أما «الجهاد الثقافي» في تجربته فكان ممارسة يومية: في التدريس، وفي توجيه الطلبة إلى قضايا الهوية، وفي المشاركة في الندوات، وفي الدفاع عن اللغة العربية بوصفها الحاضن الطبيعي للرواية التاريخية. فصيانة اللغة عنده جزء من صيانة الذاكرة.

ومن منظور فلسفي، يمكن القول إنه مارس نوعًا من «الأخلاق المعرفية»، حيث يتحد البحث بالواجب، والحقيقة بالمسؤولية. فالمثقف في القضايا المصيرية لا يملك رفاهية الحياد، لكنه في الوقت نفسه لا يملك التفريط بالمنهج.

هكذا تبدو القدس في سيرته نقطة التقاء بين الباحث والمجاهد الثقافي؛ أمانة علمية قبل أن تكون رمزًا وجدانيًا. لذلك لم تكن مجرد موضوع في كتاباته، بل مفتاحًا لفهم شخصيته التي آمنت بأن الكلمة حين تستند إلى العلم تصبح فعلًا مقاومًا يحرس الذاكرة ويصون المعنى.

فلسطين... بين الذاكرة والهوية:

إذا كانت القدس مركز المعنى في وعي محمود إبراهيم سيف، فإن فلسطين كانت الجذر الأول لشعوره وهويته. لم تكن عنده مجرد جغرافيا مسلوبة أو شعار سياسي، بل جرحًا حيًا في الذاكرة واختبارًا دائمًا للانتماء.

تحولت فلسطين في تجربته من ألم شخصي إلى مشروع وعي؛ إذ رأى أن أخطر ما يهدد القضية ليس الاحتلال وحده، بل النسيان وتشويه الرواية التاريخية. لذلك حرص على حضورها في خطابه العلمي والثقافي بوصفها حقيقة تاريخية وحقًا ثابتًا.

وقد فهم أن الصراع حول فلسطين هو أيضًا صراع روايات، وأن حماية الرواية التاريخية تحتاج إلى التحقيق العلمي والتمسك باللغة العربية بوصفها حافظة الذاكرة. ومن هنا جاءت كتاباته مشحونة بالجدية، لأن الكلمة في سياق فلسطين شهادة على الحقيقة.

لم يتحول الجرح في تجربته إلى مرارة، بل إلى طاقة أخلاقية تدفع إلى الدفاع عن الهوية وترسيخ الوعي التاريخي. وهكذا اندمجت فلسطين في مشروعه الثقافي العام، لتصبح جزءًا من رؤيته للإنسان العربي ورسالة الثقافة في مواجهة التحديات.

البنية الأسلوبية عند الدكتور محمود إبراهيم سيف: جدلية اللغة والفكرة

تكشف لغة محمود إبراهيم سيف عن طبيعة رؤيته الفكرية؛ فهي ليست مجرد وسيلة لنقل الأفكار، بل فضاء يتجلى فيه نظامه المعرفي وموقفه من العالم. لذلك يرتبط أسلوبه ارتباطًا وثيقًا بشخصيته الفكرية.

أبرز ما يميز خطابه التوازن بين التحليل العقلي واللمسة الجمالية. لغته واضحة دون

سذاجة، وعميقة دون تعقيد. فهو يسعى إلى الإقناع دون أن يفقد الإيحاء، ويوازن بين البيان والرمز في صياغة أفكاره.

تقوم جمله غالبًا على بناء منطقي متدرج: مقدمة تؤسس، وتحليل يوضح، وخلاصة تستنتج. وهو في ذلك قريب من المنهج العلمي، مع احتفاظ النص بحرارته الإنسانية. كما تتسم لغته باقتصادٍ في الصور البلاغية وحرصٍ على دقة المفردة، فلا يلجأ إلى الاستعراض البلاغي بل إلى وضوح الفكرة.

ويمتلك وعيًا دلاليًا واضحًا؛ إذ يستخدم المصطلحات بدقة ويضعها في سياق يوضح معناها، احترامًا لعقل القارئ وإيمانًا بأن الكتابة حوار لا خطابًا أحاديًا. كما يتسم نصه بإيقاع فكري يتولد من تدرّج الفكرة لا من الزخرفة اللفظية.

ويعكس أسلوبه إيمانًا بأن الوضوح فضيلة، وأن العمق لا يقتضي الغموض. لذلك اختار طريقًا صعبًا: أن يكون عميقًا وواضحًا في آنٍ واحد، محافظًا على مسافة نقدية بينه وبين موضوعه، دون أن يفقد التعاطف الإنساني.

وهكذا تبدو لغته تجسيدًا لنسق فكري يجمع العقلانية بالمسؤولية، والوضوح بالعمق، لتصبح الكلمة عنده أثرًا ممتدًا في الوعي لا صوتًا عابرًا.

الدكتور محمود إبراهيم سيف في المجال الثقافي العام

لا تُقرأ شخصية محمود إبراهيم سيف في كتبه فقط، بل في أثره داخل الفضاء الثقافي. فقد كان من المثقفين الذين يصنعون تأثيرًا هادئًا يتسلل إلى العقول دون صخب.

لم يعتمد حضوره على الظهور الاستعراضي، بل على تراكم الرؤى والمواقف. كان يدرك أن الفعل الثقافي الحقيقي يُقاس بعمق الأثر لا بكثرة المنابر، لذلك لم يسعَ إلى تكريس اسمه بقدر ما سعى إلى ترسيخ الفكرة.

يتجلى تأثيره في ثلاث دوائر متداخلة: التأثير المعرفي، حيث أعاد طرح أسئلة الهوية والثقافة بطريقة تحفز التفكير؛ والتأثير الأخلاقي، من خلال اتساقه بين الفكر والسلوك وثباته على قناعاته؛ ثم التأثير الرمزي، إذ غدت شخصيته نموذجًا للمثقف الذي يجمع بين المعرفة والتواضع والانتماء والانفتاح.

ومن منظور فلسفي، يمكن القول إن حضوره جسّد فكرة "المثقف بوصفه ضميرًا". فالضمير هنا ليس وعظًا، بل قدرة على التمييز بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون، والعمل على تقليص الفجوة بينهما.

ولهذا ظل أثره ممتدًا؛ لأن الأفكار التي تقوم على رؤية عميقة لا تنتهي بانتهاء سياقها، بل

تستمر في التأثير لأنها تمس البنية العميقة للإنسان والمجتمع.

شهادة الدكتور وليد سيف:

قراءة في البعد الإنساني والرمزي لشخصية الدكتور محمود إبراهيم سيف

تمثل شهادة الدكتور وليد سيف، المعنونة بـ»الشاهد المشهود»، نصًا مميزًا يتجاوز حدود الرثاء التقليدي؛ فهي خطاب يجمع بين القرابة والتلمذة والرؤية الفكرية، حيث يتداخل الذاتي بالموضوعي والعاطفة بالتحليل.

يفتتح وليد سيف شهادته بوصف عمه بأنه «أستاذ الأدب العربي الفذ، الذي كانت لغة القرآن تتداعى إلى لسانه إذا تحدث». وتكشف هذه العبارة عن ثلاث دلالات أساسية: أولها عمق تكوينه اللغوي المرتبط بروح البيان القرآني، وثانيها العفوية الطبيعية في التعبير دون تكلف، وثالثها الجمع بين التميز العلمي ونبل الخلق.

ثم ينتقل إلى وصف علاقته الشخصية به قائلاً إنه كان «العم والأخ الأكبر والمعلم الأجل والخل الأوفى». وهذه العبارة تعيد تعريف العمومة بوصفها علاقة تربوية وروحية، لا مجرد صلة قرابة. فقد تعهده صغيرًا، واكتشف ميوله الأدبية مبكرًا، وأرشده إلى تنميتها، مما يدل على شخصية ترى في التعليم رعاية للإنسان قبل أن يكون نقلًا للمعرفة.

وتكشف الشهادة كذلك عن امتداد معرفي بينهما؛ إذ درس وليد سيف في الجامعة الأردنية حيث كان عمه أستاذًا، ثم تابع دراسته في لندن كما فعل عمه من قبل. وهنا تبدو العلاقة انتقالًا لمنهج فكري أكثر منها انتقالًا لمكانة أو اسم.

كما تضيء الشهادة جانبًا داخليًا من شخصية محمود إبراهيم سيف؛ فقد كان قليل البوح، شديد الانضباط الوجداني، يحتفظ بعواطفه في عمق هادئ. وهذا الجمع بين الحساسية والضبط يفسر اتزانه الفكري ونزعته التأملية.

وتبلغ الشهادة ذروتها حين يتحدث وليد سيف عن علاقته بفلسطين، مؤكدًا أن النكبة لم تتحول في وجدانه إلى ذكرى ماضية، بل ظلت حاضرة حارقة. ومع أنه لم يحمل السلاح، فإنه – بحسب الشهادة – كان يخدم وطنه بصمت في صورة من صور الجهاد الأخلاقي والثقافي.

كما تشير الشهادة إلى سموه الأسري، إذ كان شديد البرّ بأهله، جامعًا بين العالم الراسخ والمربي الحاضن والإنسان الوفي. وتختتم بعبارة

«سلام على محمود إبراهيم، وجزاه الله جزاء المحسنين»، وهي خاتمة تعكس حياة عاشت في أفق الإحسان، حيث يتحول الإتقان والوفاء إلى نمط وجود.

وتأتي أهمية هذه الشهادة من صدورها عن شخصية فكرية وأدبية بحجم وليد سيف، مما يمنحها قيمة معرفية وإنسانية خاصة؛ فهي لا تكتفي بتوثيق إنجازات محمود إبراهيم سيف، بل تكشف جوهر شخصيته: صفاء داخلي، وجدية أخلاقية، وإيمان بأن الثقافة فعل بناء ومسؤولية.

وهكذا تكتمل صورة محمود إبراهيم سيف: عالم راسخ في العربية، ومربٍّ يحتضن الموهبة، وإنسان وفيّ، ومثقف يرى في الكلمة مسؤولية أخلاقية.

الخلاصة:

تكشف شهادة وليد سيف البنية العميقة لشخصية محمود إبراهيم سيف، حيث يظهر فيها:

- عالمًا متجذرًا في اللغة العربية.
- مربّيًا يؤمن برعاية الموهبة.
- إنسانًا وفيًا لأهله وقيمه.
- وطنيًا يعيش قضيته بوصفها شرط وجود.
- مثقفًا متزن العاطفة، عميق الرؤية.

وبذلك لا يبدو الشاهد مجرد راوٍ، بل امتدادًا للمشهود، إذ تغدو الشهادة نفسها أحد آثار الدكتور محمود إبراهيم سيف الحية في الوعي الثقافي.

الخاتمة: في معنى الأثر وبقاء القيمة

حين نصل إلى خاتمة الحديث عن الدكتور محمود إبراهيم سيف، لا يبدو الأمر إغلاقًا لملف سيرته بقدر ما هو فتح لأفقٍ أوسع لقراءة أثره. فبعض الشخصيات تُقاس بما شغلته من مناصب أو بما خلّفته من كتب، أما هو فكان من أولئك الذين تتحول حياتهم نفسها إلى دلالة ممتدة في الوعي الثقافي.

تكشف مسيرته عن تكوين معرفي راسخ جمع بين الدراسة العميقة والانفتاح العلمي، من جامعة لندن إلى الجامعة الأردنية، حيث ترك أثرًا يتجلى في أجيال من الطلبة الذين حملوا عنه روح الجدية والاتزان. كما كان حضوره في مجمع اللغة العربية الأردني مشاركة واعية في صون العربية بوصفها وعاءً للهوية وأفقًا للحضارة.

غير أن ما يميز شخصيته حقًا هو ذلك التوافق العميق بين الفكر والسلوك؛ فقد عاش الثقافة التزامًا أخلاقيًا لا مجالًا للاستعراض، فكان في هدوئه قوة، وفي اتزانه ثبات، وفي صمته عمق يتجاوز كثيرًا من الخطابات.

وتكشف شهادة الدكتور وليد سيف جانبًا

إنسانيًا مهمًا من شخصيته؛ إذ لم يكن أستاذًا وباحثًا فحسب، بل مربّيًا ومرجعًا وجدانيًا لمن حوله، يجمع بين دور المعلم والناصح والوطني الذي يحمل قضيته في ضميره.

لقد تكاملت في شخصيته صفات العالم والأديب والمربّي والإنسان الوفي، فآمن بالحوار والتوازن، ورأى في المعرفة وسيلة للترشيد لا أداة للهيمنة. ولهذا بقي أثره ممتدًا بعد رحيله؛ لأن القيم التي عاشها قيم راسخة لا تزول بزوال أصحابها.

إن الرجال الكبار يُقاسون بعمق أثرهم لا بطول أعمارهم، وقد ترك الدكتور محمود إبراهيم سيف أثرًا هادئًا لكنه متين في الثقافة الأردنية والفلسطينية معًا. سلام على روحه، وعلى أثره الذي بقي شاهدًا على أن الكلمة الصادقة لا تموت.

تنوعت مؤلفاته بين الترجمة والدراسة والتحقيق، ومن أبرزها:

- فلورنسة في عهد دانتي (ترجمة).
- مفهوم الجهاد في الإسلام.
- صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني.
- أبو حيان التوحيدي في قضايا الإنسان واللغة والعلوم.
- حركة الترجمة في الوطن العربي.

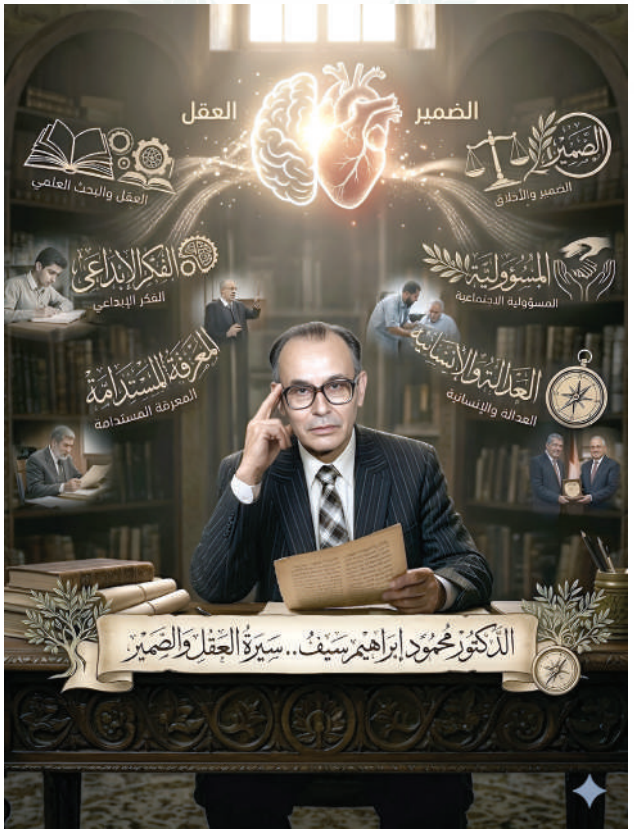

سلمى وليلى في الشعر الصوفي: حين يصبح الرمز برزخاً لشهود الحق

د عبد الله ابراهيم زيد الكيلاني
أستاذ الفقه وأصوله في الجامعة الأردنية

تُعدُّ الرموز الأنثوية في الشعر الصوفي، كـ «سلمى» و«ليلى»، من أدقِّ وأرقى الأدوات الإشارية التي اتخذها العارفون برزخاً بين عالم الشهادة وعالم الغيب، فهي ليست مجرد استعارات لوصف عواطف بشرية، بل هي «قوالبُ نوريّة» صِيغت لتعبر عن المواجيد والفتوحات الروحية التي تضيق عنها لغةُ التجريد الجافة؛ فاستعير جمال «الصورة» ليدلَّ على جلال «المعنى».

أنوارٌ من خلف الستائر

في حضرة الشوق الإلهي، يجد العارف نفسه أمام فيضٍ من الأنوار التي لا تسعها العبارة؛ فالحق سبحانه مُنزه عن الكيف والتشبيه، وهو الذي (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ). ومن هنا، اتخذ أهل التصوف هذه الأسماء كستائر رقيقة تُمرر من خلفها أنوار المعاني، فكانت «سلمى» و«ليلى» إشارات رمزية للذات العلية في جلالها، ولتجليات الصفات في آثارها، وقد يُراد بـ «سلمى» أحياناً الإشارة لأنوار المدينة المنورة وما يتصل بالحضرة المحمدية من فيوضات.

١-لماذا الرمز؟

يلجأ الشاعر للرمز ليس طلباً للغموض، بل لأن «الحقيقة» غيبيّة وجمالها باهرٌ قد يُبهر بصيرة غير المستعد. يقول الشيخ عبد الغني النابلسي، أحد أعمدة هذا الفن:

لَمَعَتْ أنوارُ سَلْمى
لكَ من خَلْفِ السَّتائرْ
لا يَكُنْ طَرْفُكَ أعمى
عن تَناويعِ الأشايرْ

هنا «سلمى» رمز للجمال المطلق المنزه، و«الستائر» هي الحجب الكونية أو الصور المادية التي يرى العارف من خلالها تجليات وآثار جمال الصانع. فالكون كله «مرآة» تظهر فيها تجليات الأسماء الإلهية.

٢- دلالة «سلمى» و«ليلى» في الذوق الصوفي

* **ليلى:** ترمز غالباً إلى الغيب والذات الإلهية في حجاب الجلال (من الليل والستر)، حيث السكون والاحتجاب الذي لا يُدرك إلا بالفناء عن «السوى».

* **سلمى:** تشير إلى السلامة المطلقة والجمال المنزه، وهي التجليات التي «تُسالم» الروح وتجذبها برفق نحو حضرة القدس والأنس.

٣- تناويع الأشاير»: قراءة ما وراء الحروف

يؤكد النابلسي في قوله «لا يكن طرفك أعمى» أن البصر المادي لا يكفي؛ بل لا بد من «بصيرة» تنفذ من الصورة إلى المعنى. فالحق سبحانه تتجلى آثار أسمائه في كل شيء؛ فالطعام أثر لتجلي اسم «الرزاق»، والمطر أثر لتجلي اسم «الرحيم»، ومصداق ذلك قوله سبحانه: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ﴾ إشارةً للغيث. ومن هنا يستحب الدعاء عند نزول المطر لأنه «زمن تجلي» ومظهر للرحمة. فالعارف يخلص من ريبة الشك إلى يقين الشهود، فينتقل من «وصف الخيال» إلى «شهود الحقيقة»، حيث يصبح الرمز جسراً لا مقراً، فـ «المجاز قنطرة الحقيقة».

٤ - فلسفة الخفاء والظهور

إن استخدام هذه الأسماء يعكس جدلية (الظهور في الخفاء)؛ فالحق ظاهر بآثاره، خفيّ بذاته. وكما أن المحب الفاني في «ليلى» لا يرى في الوجود إلا ليلى، فإن العارف لا يشهد في ذرات الوجود إلا أنوار تدبير الحق وآثار صفاته.

خاتمة: في كيفية تدريب «البصيرة»

إن الانتقال من رؤية «الستائر» إلى شهود «الأنوار» ثمرة مجاهدة روحية تُصفي مرآة القلب. ولكي يخرج المرء من «الطرف الأعمى» إلى «تناويع الأشاير»، عليه بتصفية القلب من «ريْبة الشك»، ليعلم أن وراء كل أثر مؤثراً.

إنَّ «سلمى» الصوفية هي دعوة للروح لتتحرر من قيود المادة الصماء، وتتذوق حلاوة القرب من خلال إشارات يفك شفرتها أهل الوجد والذوق، ليروا الجمال في كل مظهر، والجلال في كل مَخبر. فالعارف هو من يرى «سلمى» في كل جمال، ليدله ذلك على «الجميل» الذي أودع في سلمى سِرَّ جماله.

شعر

توبة ودعـاء ..

صالح البوريني

لجأتُ من الضلال إلى هُداهُ
وأتعبه المسير فعاد يبغي

فما ليَ منه مُلْتَجأٌ سواهُ
رجوعًا بعدما وهَنَتْ قُواهُ

وما ليَ في ضياع الفكر إلا
يقلِّبُ طرفَه فيما تقَضَّى

أفرُّ من الضياع إلى حماهُ
من الأيام .. ينظرُ ما جَناهُ

وما لي عن سبيل الغَيِّ إلا
وينظُر خلْفَه فإذا ركامًا

إلى التقوى انعطافٌ واتجاهُ
من الآثام قد كسِبتْ يداهُ

وما بدء الفساد على عَصِيٍّ
فيطفَحُ قلبُه بالحُزن حتى

تقلَّبَ في الضلالِ كمُنْتَهاهُ
على الخدين تجري مُقْلتاهُ

أتاه الغَيُّ في ثوبٍ جميلٍ
ويرفعُ بالتضرُّع راحتيه

فأقبل راغبا لمَّا رآهُ
ويَصْعَدُ مِنْه ملهوفًا دُعاهُ

وأعمى قلبَه الشيطان لمَّا
أيا ربي تلطَّف بي فإني

تبَلَّد عقْلُه وطغى هَواهُ
جنَيتُ من المساوئ ما تراهُ

فسار مع النَّدامى في طريقٍ
تقبّلْ توبتي واغفِرْ ذنوبي

يشُدُّ إليه من زلَّت خطاهُ
وآتِ القلبَ يا ربي هُداهُ

فعاليات المنتدى

الهيئة العامة لمنتدى الوسطية للفكر والثقافة تعقد اجتماعها السنوي

عقدت الهيئة العامة لمنتدى الوسطية للفكر والثقافة اليوم الأحد، الموافق ٢٠٢٢/٢/٥١ اجتماعها السنوي في مقر المنتدى الكائن في منطقة الجبيهة، بحضور مندوبين عن وزارة الثقافة لمناقشة التقريرين الإداري والمالي وانتخاب هيئة إدارية جديدة.

وفي مستهل الاجتماع رحب رئيس منتدى الوسطية للفكر والثقافة، المهندس مروان الفاعوري بمندوبي وزارة الثقافة، وبالأخوة والأخوات الحضور أعضاء الهيئة العامة، وهنأ الجميع بمناسبة حلول شهر رمضان الفضيل.

وبعد تلاوة التقريرين الإداري والمالي للمنتدى للعام ٢٠٢٥، تمت الموافقة عليهما برفع الأيدي.

وقد تم انتخاب الهيئة الإدارية بالتزكية، موزعة على النحو التالي:

المهندس مروان عواد نويران الفاعوري – رئيسا

الدكتور عبد الرحيم فلاح المعايعة – نائبا للرئيس

الدكتور زيد ا لمحيسن – أمينا للصندوق

السيد أحمد عبد الفتاح الجغبير – أمينا للسر

الدكتور محمد أحمد الحاج – عضوا

الدكتور زهاء الدين أحمد سلامة عبيدات – عضوا

الدكتور حسين رزق الله حامد العموش – عضوا

وتم انتخاب أعضاء الاحتياط على النحو التالي:

الدكتور سليمان الرطروط

السيد قاسم المصري

***

**لقاء أخوي في كنيسة الروم الأرثوذكس في الفحيص يجمع مسلمين ومسيحيين بمناسبة قدوم شهر رمضان المبارك

الثلاثاء، ١٠ February, ٢٠٢٦

حضر المهندس مروان الفاعوري، الأمين العام للمنتدى العالمي للوسطية، اليوم لقاءً أخويًا بهيجًا جمع أبناء محافظة البلقاء من المسلمين والمسيحيين، وذلك في كنيسة الروم الأرثوذكس في الفحيص، بمناسبة قدوم شهر رمضان المبارك.

ويأتي هذا اللقاء في إطار تعزيز قيم العيش المشترك، وترسيخ معاني الأخوّة الوطنية والإنسانية التي تميز المجتمع الأردني، حيث جسّد الحفل صورة حضارية راقية للتآخي والتلاحم بين أبناء الوطن الواحد، بعيدًا عن أي تمييز ديني أو ثقافي.

وخلال اللقاء، ألقى المهندس مروان الفاعوري كلمة عبّر فيها عن شكره وتقديره لكنيسة الروم الأرثوذكس في البلقاء، قيادةً ورعية، على هذه المبادرة النبيلة التي تعكس عمق المحبة والاحترام

المتبادل بين مكونات المجتمع، مؤكدًا أن مثل هذه اللقاءات تمثل رسالة أمل ووحدة في وقت أحوج ما نكون فيه إلى خطاب جامع يعزز السلام الاجتماعي.

نص الكلمة التي ألقاها المهندس مروان الفاعوري خلال اللقاء:

بسم الله الرحمن الرحيم

الإخوة والأخوات الكرام،

السيدات والسادة الحضور الأفاضل،

يسعدني ويشرفني أن أتوجه بجزيل الشكر والتقدير إلى كنيسة الروم الأرثوذكس في البلقاء، قيادةً ورعية، على هذه المبادرة الكريمة والنبيلة، بإقامتهم حفل غداء يجمع المسلمين والمسيحيين معًا، بمناسبة قدوم شهر رمضان المبارك.

إن هذه اللفتة الصادقة تحمل في معانيها أسمى قيم الأخوّة الإنسانية، وتجسّد عمق العيش المشترك الذي عرفته أرضنا، وكان دائمًا عنوانًا لوحدتنا الوطنية، حيث يجتمع أبناؤها على المحبة، والاحترام المتبادل، وتقاسم القيم الأخلاقية والإنسانية السامية.

إن شهر رمضان هو شهر الرحمة، والتراحم، والتقارب بين القلوب، وما تقومون به اليوم هو ترجمة حقيقية لمعاني هذا الشهر، ورسالة راقية تؤكد أن ما يجمعنا من إنسانية ومصير مشترك أكبر بكثير مما قد يفرقنا.

أشكركم باسم المحبة، وباسم الأخوّة الصادقة، وباسم كل من يرى في هذا الوطن نموذجًا حيًّا للتآخي والتسامح، سائلاً الله أن يديم بيننا هذه الروح، وأن يحفظ بلدنا وأهلنا، ويجعل أيامنا عامرة بالمودة والسلام.

كل عام وأنتم بخير،

ورمضان مبارك علينا جميعًا.

بمناسبة أسبوع الوئام العالمي بين الأديان

الثلاثاء، ١٠ February ,٢٠٢٦

رسالة الأمين العام للمنتدى العالمي للوسطية

المهندس مروان الفاعوري

بمناسبة أسبوع الوئام العالمي بين الأديان

أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ٢٠١٠، وبمبادرة كريمة من صاحب الجلالة الهاشمية الملك عبد الله الثاني ابن الحسين المعظم، أسبوع الوئام العالمي بين الأديان، تأكيدًا على أهمية تعزيز قيم التفاهم والتعايش والسلام بين أتباع الديانات المختلفة في عالم يموج بالتحديات والانقسامات.

وليس غريبًا على الأردن، هذه الأرض الطاهرة المباركة، أن يحتفي بهذه المناسبة الإنسانية الرفيعة؛ فقد شهدت أرضه مرور العديد من الأنبياء والصالحين، وتشرفت باحتضان مقامات جليلة للأنبياء والصحابة الكرام، كما عُمِّد رسول السلام السيد المسيح عيسى عليه السلام في نهر الأردن، ليبقى الأردن شاهدًا حيًا على رسالة السماء ووحدة القيم الإلهية.

وتعكس هذه المناسبة الرؤية الهاشمية المستنيرة الداعية إلى ترسيخ قيم العيش المشترك، وتعزيز ثقافة الاحترام المتبادل، والتفاهم الإنساني، وبناء جسور الثقة بين أتباع الديانات المختلفة. وهي رؤية جعلت من الأردن نموذجًا عالميًا في الاعتدال، والوسطية، والتسامح الديني.

لقد أكد الإسلام، منذ انبثاق رسالته الخالدة، معاني الوئام الإنساني والتسامح وقبول الآخر، وتجسدت هذه القيم السامية في الرسالة السماوية التي جاء بها رسول الرحمة للعالمين محمد صلى الله عليه وسلم، كما تجلت عمليًا في وثيقة المدينة المنورة التي أرست أسس العلاقات الإنسانية العادلة، ورسخت مبدأ المواطنة والشراكة بين مكونات المجتمع على اختلاف أديانهم وانتماءاتهم.

ويمثل أسبوع الوئام العالمي بين الأديان استجابة صادقة لرسالات السماء التي تقوم على مبدأ حب الله وحب الإنسان، ويؤكد أن الدين هو مصدر إلهام روحي وأخلاقي سامٍ، لا ينبغي أن يكون سببًا

للانقسام أو الصراع أو الفرقة، بل جسرًا للتواصل والتلاقي، ومنطلقًا لتعزيز السلام والكرامة الإنسانية بين البشر جميعًا، على اختلاف أجناسهم وألوانهم ومعتقداتهم.

وإذ نؤكد في المنتدى العالمي للوسطية أهمية إحياء هذه المناسبة وترسيخ مضامينها، فإننا ندعو إلى جعل قيم الوئام والتسامح والعيش المشترك ممارسة يومية وسلوكًا راسخًا، لا شعارًا موسميًا، بما يسهم في حماية مجتمعاتنا من التطرف والكراهية، ويعزز الاستقرار والسلم المجتمعي.

حفظ الله أمتنا وأوطاننا،

وليبقَ أسبوع الوئام العالمي بين الأديان قيمةً راسخة، وجزءًا أصيلًا من هويتنا الوطنية والإنسانية.

في عيد ميلادكم الميمون..

الجمعة، ٣٠ كانون الثاني, ٢٠٢٦

حضرة صاحب الجلالة الهاشمية

جلالة الملك عبد الله الثاني ابن الحسين المعظم حفظه الله ورعاه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

يشرفني، بصفتي الأمين العام للمنتدى العالمي للوسطية، وباسم أسرة المنتدى ونخبه الفكرية والثقافية من مختلف دول العالم، أن أرفع إلى مقامكم السامي أصدق آيات التهنئة وأخلص مشاعر الولاء بمناسبة عيد ميلادكم الميمون، سائلين المولى عزّ وجلّ أن يعيده على جلالتكم بموفور الصحة والعافية، وعلى الأردن العزيز بمزيدٍ من الأمن والاستقرار والتقدم.

إن هذه المناسبة الوطنية الغالية تستحضر الدور التاريخي الذي اضطلعتم به، جلالتكم، في ترسيخ وسطية النظام السياسي الأردني بوصفها خيارًا استراتيجيًا ونهجًا راسخًا في الحكم، يقوم على التوازن بين الثوابت الوطنية ومتطلبات العصر، ويجمع بين الشرعية الدستورية، واحترام سيادة القانون، وصون كرامة الإنسان، وتعزيز المشاركة السياسية، بما جعل من التجربة الأردنية نموذجًا متقدمًا في الاعتدال والحكمة السياسية في محيطٍ إقليميٍ ودوليٍ شديد الاضطراب.

لقد شكّل نهجكم القيادي، جلالتكم، تجسيدًا عمليًا لمعاني الوسطية السياسية التي ترفض التطرف والتغوّل، وتؤمن بالحوار والتدرج والإصلاح المسؤول، وتوازن بين مقتضيات الأمن الوطني ومتطلبات التنمية الشاملة، الأمر الذي أسهم في الحفاظ على استقرار الدولة الأردنية وتعزيز مناعتها، وترسيخ مكانتها كدولة مؤسسات، وصوت عقلاني يحظى بالاحترام والتقدير على المستويين الإقليمي والدولي.

وإننا في المنتدى العالمي للوسطية نعتز بما تمثله القيادة الهاشمية من مرجعية أخلاقية وسياسية في ترسيخ ثقافة الاعتدال، وتعزيز قيم التعايش والاحترام المتبادل، والدفاع عن القضايا العربية العادلة، وفي مقدمتها القضية الفلسطينية، انطلاقًا من ثوابت الأردن التاريخية ودوره المحوري في حماية المقدسات الإسلامية والمسيحية في القدس الشريف.

وبهذه المناسبة المباركة، نجدد لجلالتكم العهد على مواصلة العمل الفكري والمؤسسي، دعمًا لنهج الوسطية الذي تقوده قيادتكم الهاشمية، وإسهامًا في تعميق الوعي بأهميته في بناء الدول المستقرة والمجتمعات المتماسكة، سائلين الله العلي القدير أن يحفظكم قائدًا وراعيًا لمسيرة الخير والعطاء.

حفظكم الله وسدّد على طريق الخير خطاكم، وكل عام وجلالتكم بألف خير.

وتفضلوا، جلالة الملك المعظم، بقبول فائق الاحترام والتقدير.

م. مروان الفاعوري

الأمين العام للمنتدى العالمي للوسطية

الدكتور أبو جرة السلطاني يحاضر عن مستقبل الأمة الإسلامية في المنتدى العالمي للوسطية

عقدت الأربعاء، ٢٨ كانون الثاني, ٢٠٢٦

أبو جرة السلطاني يحاضر عن مستقبل الأمة الإسلامية في المنتدى العالمي للوسطية

ألقى المفكر الجزائري، ورئيس المنتدى العالمي للوسطية، الدكتور أبو جرة السلطاني اليوم الأربعاء، الموافق ٨٢/١/٦٢٠٢ محاضرة بعنوان «مستقبل الأمة الإسلامية بين الفرص والتحديات» في مقر المنتدى الكائن بمنطقة الجبيهة في العاصمة الأردنية عمان، بحضور شخصيات ونخب سياسية وأكاديمية وفكرية بارزة.

وفي مستهل المحاضرة رحب الأمين العام للمنتدى العالمي للوسطية، المهندس مروان الفاعوري بالمحاضر والحضور، معربا عن شكره لهم على حضورهم ومشاركتهم، ومثمنا هذه الفرصة للإفادة من علم وتجربة وخبرة المحاضر السلطاني.

وأكد الفاعوري أن حضور الدكتور السلطاني يشكل إضافة نوعية وحقيقية، بما يمتلكه من معرفة شرعية وفكرية واسعة، وبما اكتسبه وراكمه من خبرات عملية في ميادين شتى فكرية وسياسية ودعوية، إضافة لمواهبه ومهاراته في تناول القضايا وطرحها بأسلوب شيق وجذاب.

وأضاف إن واقع الأمة الإسلامية في الزمن الراهن حزين وبائس، وهو ما يوجب على العلماء والمفكرين البحث عن سبل ممكنة لإنهاض الأمة، وإخراجها من حالها البئيس، وإعادتها إلى مصاف

الأمم الرائدة والقائدة، والشاهدة على الأمم الأخرى، إذا ما قامت بأداء الرسالة بقيمها الراشدة والهادية.

وتابع نحن بحاجة إلى أن نسمع اليوم من الدكتور أبو جرة السلطاني ما يعزز الإيجابيات، ويطلق الفاعلية الحضارية في الأمة، ويقدم الرؤى المستنيرة، والحلول الواقعية الممكنة للخروج من المأزق الذي تعيشه الأمة، ويساهم في بناء الوعي لهذه الأمة، في إطار الحديث عن مستقبل الأمة بين الفرص والتحديات.

انطلق الدكتور أبو جرة السلطاني في محاضرته من تأمل وتدبر ما جاء في آيتين من آيات سورة آل عمران، الأولى الآية (١١٠) {كنتم خير أمة أخرجت للناس..)، والثانية الآية (١٠٤) {ولتكن منكم أمة..} موضحا أن الآية الأولى تتحدث عن الأمة في الماضي، والثانية تتحدث عن المستقبل، بأن يكون من الأمة الإسلامية الواسعة نخبة تقع على عاتقها ثلاث مهمات: تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله.

وأضاف والآية تشير إلى أنه إذا افتقدتم التيار الكبير، تيار الأمة فلا ينبغي أن تضيعوا النخبة الفاعلة والمؤثرة، بأن تكون منكم على الدوام قدوات من العلماء والمفكرين والشيوخ والدعاة .

وفي إطار حديثه عن سقوط الأمم ونهوضها، تساءل المحاضر أبو جرة: متى تسقط الأمة؟ ليجيب: الدول تشتد وتكبر ثم تبدأ بالسقوط كلما وصلت إلى القمة، لافتا إلى أن الفرص والتحديات تتشابك في كثير من الأحيان، فأحيانا تصبح التحديات فرصا.. وهكذا.

وذكر أنه من خلال دراساته وتأملاته في القرآن الكريم، ودراسة التاريخ خلص إلى أنه كلما اشتدت الأزمات تظهر طريق الأمل، وأن العباقرة والمفكرين يخرجون من رحم المعاناة والشدة والحرمان، وكلما اشتدت الأزمات صار التفكير أكثر حدة وتركيزا.

وفي إطار تناوله وحديثه عن فرص الأمة ذكر المحاضر أبو جرة ست فرص هامة وحيوية ماثلة أمام الأمة، وهي على التوالي: وحدة المصدر لجميع أبناء الأمة الإسلامية (الكتاب والسنة)، النموذج العملي المجرب، صلاحية المنهج غير محددة لا بزمان ولا مكان، التاريخ شاهد على الانبعاث بعد كل كبوة، الحضارة الإنسانية شافعة، وفشل المحاولات يعني مراكمة الخبرة.

ثم انتقل للحديث عن الواقع المعاش، مبينا أن استخدام مفردة رجل في القرآن الكريم هي صفة وليست جنسا، واستعرض جملة من الآيات القرآنية التي تؤكد ذلك المعنى، مؤكدا أننا بحاجة إلى رجال، وليس إلى ذكور. داعيا إلى أن واجبنا أن نبدأ الآن كرجال كونها صفة وليست جنسا.

وجال المحاضر أبو جرة في نقد تجارب العمل السياسي بعمومه والإسلامي بصفة خاصة، متسائلا: لماذا تصر المعارضة على موقفها ذاك بعد أن رأت طريق المعارضة مسدودا، فلماذا لا تنتقل إلى مواقع أخرى أكثر حضورا وفاعلية وإنتاجا.

كما دعا إلى ضرورة حماية خط الدفاع الأخير، ألا هو المقاومة بدعمها ومساندتها بكل السبل القانونية الممكنة والمتاحة، لأنها تمثل قيمة هامة وجوهرية في حماية الأمة في مواجهة مشاريع الاستيطان والاستعمار.

واقترح في باب العمل والفاعلية ما اسماه بـ»مشروع الرجل الواحد»، الرجل الصفة وليس الرجل الجنس، وأكدَّ أن كل قطر وكل دولة قامت على كتف رجل واحد، فعقل الدولة الأموية هو عمرو بن العاص، وعقل الدولة العباسية السياسي هو أبو جعفر المنصور.. وهكذا، واستعرض الآيات الكريمة التي توضح هذا المعنى وتؤكده.

وانتقد حال الأمة في التعامل مع أبنائها الناجحين والمتفوقين، بعدم توفير سبل النجاح والدعم لهم، بل انتقادهم وازدراء جهودهم، بينما نجدهم إذا ما شدوا الرحال إلى بلاد الغرب ظهر تفوقهم ونبوغهم، وكانوا نماذج متميزة في الفاعلية والحضور والتأثير والتميز.

وختم حديثه بالدعوة إلى إعادة قراءة «جيل قرآني فريد» من كتاب «معالم في الطريق» للوقوف على كيفية صناعة القرآن لجيل الصحابة، ولأمة كانت ترعى الغنم فنقلها القرآن إلى أمة ترعى الأمم.

وبعد انتهاء المحاضرة تفاعل الحضور، وفيهم شخصيات سياسية وفكرية وأكاديمية وازنة ومعروفة، مع الأفكار والرؤى التي قدمها المحاضر، وتداخل عدد منهم بمداخلات وتساؤلات قيمة، أثرى موضوع ا لمحاضرة، وعمق أفكارها، وفتح آفاقا جديدة للنظر والبحث والمدارسة.

انعقاد مؤتمر « البعد التكاملي العربي .. خيار الضرورة وجدلية الأمن والسلام» في العقبة

الخميس، yraunaJ ٢٢, ٦٢٠٢

انطلقت اليوم الأربعاء، الموافق ٦٢٠٢/١/١٢ أعمال مؤتمر «البعد التكاملي العربي.. خيار الضرورة وجدلية الأمن والسلام» في مدينة العقبة بالتعاون بين المنتدى العالمي للوسطية ومركز أرابيا للريادة والتمكين برعاية رئيس مجلس مفوضي سلطة منطقة العقبة الاقتصادية الخاصة، شادي المجالي، وبمشاركة شخصيات ونخب سياسية وأكاديمية من الأردن والعالم العربي.

وفي جلسة الافتتاح رحبت رئيس مجلس إدارة مركز أرابيا للريادة والتمكين، تمام الرياطي بالمشاركين في المؤتمر، وأعربت عن عظيم شكرها وامتنانها لتلبية الدعوة للمشاركة في المؤتمر.

وقالت «ولا أخفيكم سرا أن فكرة انعقاد هذا المؤتمر انطلقت لدينا من قناعة راسخة بأن الحلم العربي الراسخ بأعماقنا منذ إطلاق الرصاصة الأولى للثورة العربية الكبرى من بندقية الشريف الهاشمي الحسين بن علي طيب الله ثراه».

وأضافت «وسيبقى هذا الحلم نبراسا لكل عربي وعربية حفظ في وجدانه تراتيل العروبة وأناشيدها، حافزا للنهوض والمساهمة في البناء البشري الإنساني للحضارة، بما يناسب مكانة هذه الأمة ورسوخ أثرها كما الوشم بوجه الزمن». وأكدّت السياسية والبرلمانية السابقة الرياطي أننا «حينما نقول الوطن العربي والعروبة، فإننا نستمد فهمنا للعربي من مفهوم الحضارة العربية الإسلامية الشامل، وهي الحضارة التي ساهم في بنائها عرب وأعراق أخرى، مسلمون ومسيحيون وأتباع ديانات أخرى».

وتابعت «وبالتالي فإن كل طرح يختزل فهمه لكلمة العربي على عرق من البشر فقد جافاه الصواب، لأن الحضارة العربية الإسلامية قد امتدت عبر التاريخ ولاستيعاب الجغرافيا بأفق أبعد من الطروحات الإقصائية الضيقة، وسيبقى المجال رحبا للتواصل والانفتاح على جميع الحضارات والأمم وفقا لقواعد الشراكة والاحترام المتبادل بين الأمم».

من جانبه رحب الأمين العام للمنتدى العالمي للوسطية، المهندس مروان الفاعوري بالمشاركين في المؤتمر، وقال «يشرفني باسمي وباسم المنتدى العالمي للوسطية أن أرحب بكم أصدق ترحيب في هذا المؤتمر الدولي الهام، المنعقد على أرض العقبة، بوابة الأردن على العالم، وتحت رعاية سلطة منطقة العقبة الاقتصادية الخاصة، التي نثمن دعمها لهذا الحدث الفكري والاستراتيجي النوعي».

وأضاف «إن البعد التكاملي العربي الذي نناقشه اليوم، ليس شعارا نظريا ولا ترفا فكريا، بل هو خيار الضرورة، وخط الدفاع الأول عن أمننا الجماعي، واستقرار أوطاننا، ومستقبل أجيالنا، فالتكامل في الغذاء والطاقة، وفي الاقتصاد والثقافة، وفي المعرفة والبيئة، هو الطريق الأجدى لتحصين عالمنا

العربي من التفكك، وتحويل التحديات إلى فرص، والأزمات إلى مشاريع نهوض».

وقال الفاعوري «إننا في المنتدى العالمي للوسطية نؤمن بأن الفكر التكاملي المعتدل هو القوة الناعمة القادرة على صناعة السلام، وبناء الثقة، وإعادة الاعتبار لقيم التعاون والتضامن بين شعوبنا ودوليا».

وأضاف «ومن هنا، فإن هذا المؤتمر يشكل منصة جامعة للمفكرين، وصناع القرار، والخبراء، لتبادل الرؤى، وصياغة المقاربات العملية، والخروج بتوصيات استراتيجية ترسم خارطة طريق واقعية لتفعيل التكامل العربي إقليميا ودوليا».

وختم حديثه بالقول «إن نهضة الأمة العربية وتقدمها لا يقوم على جهد دولة منفردة لوحدها، بل على جهود الدول العربية كافة، فيتكامل الجهد الفردي المبعثر للدولة، مع الجهد الجماعي للدول العربية الأخرى، ويحول الطاقات المبعثرة إلى قوة جماعية قادرة على صناعة التاريخ والنهضة معا، من هنا تبرز أهمية التكامل والتعاون وتضافر الجهود الجماعية التي هي أساس كل نهضة وتقدم مستقبلي مأمول».

وبعد انتهاء جلسة الافتتاح، انطلقت أعمال المؤتمر وفق البرنامج المعد لها، حيث انتظمت الأوراق البحثية المقدمة في الجلسة الأولى تحت عنوان «جدلية الأمن والسلام العربي إلى أين؟ وما هي الخيارات المتاحة؟» وأدارتها د. بروين حبيب، وشارك فيها كل من الدكتور أبو جرة السلطاني من الجزائر، رئيس المنتدى العالمي للوسطية، والدكتورة هيفاء أبو غزالة، وشيروان شميراني من كردستان العراق.

وخصصت الجلسة الثانية لتبحث وتجيب عن «هل التكامل الاقتصادي العربي خيار للأمن والاستقرار في المنطقة؟»، وقد أدار الجلسة سعيد المصري، وشارك فيها الدكتور منتصر الزيات من مصرن ومحمد زاهد غول من تركيا، والدكتور محمد الحلايقة.

أما الجلسة الثالثة فجاءت تحت عنوان «الإعلام المسؤول شريك في صناعة السلام»، وأدارها الدكتور عماد الدين الزغول، وشارك فيها الدكتور عامر الصمادي، وسناء عصفور، واخليف الطروانة.

تجدر الإشارة إلى أن هذا المؤتمر يأتي ليعيد فتح ملف الأمن والسلام من زوايا مختلفة باحثا في جدلية المصالح، وحدود السيادة، وإمكانات العمل والعيش العربي المشترك. كيف نصنع أمنا جماعيا في إقليم مضطرب؟ وهل يمكن للتكامل أن يكون جسرا للسلام لا شعارا سياسيا؟

بيان إدانة واستنكار من المنتدى العالمي للوسطية حول اعتداء قوات الاحتلال على منشآت الأونروا في القدس

الثلاثاء، ٢٠ January, ٢٠٢٦

في تصريحات لوكالة الأنباء الأردنية بترا، أدان الأمين العام للمنتدى العالمي للوسطية، المهندس مروان الفاعوري، بأشد العبارات قيام قوات الاحتلال الإسرائيلي بهدم مبان داخل مجمع الأونروا في حي الشيخ جراح، واصفا ذلك بالجريمة البشعة والتصعيد الخطير الذي يضاف إلى سجل الانتهاكات الممنهجة بحق الشعب الفلسطيني ومؤسساته الإنسانية.

وقال الفاعوري إن هذا الاعتداء يشكل خرقا فاضحا للقانون الدولي، وانتهاكا صريحا لحصانات وامتيازات منظمات الأمم المتحدة، ومحاولة مكشوفة لتقويض الدور الإنساني والرمزي للأونروا، التي تجسد التزام المجتمع الدولي بحق اللاجئين الفلسطينيين في العودة والتعويض، وفقا للقرار الدولي ١٩٤.

وأضاف أن استهداف الأونروا لا يقتصر على الاعتداء على منشآتها، بل يعد استهدافا مباشرا لحقوق ملايين اللاجئين الفلسطينيين، ومحاولة لطمس قضيتهم العادلة وحرمانهم من خدمات إنسانية أساسية.

وحمل الفاعوري سلطات الاحتلال المسؤولية الكاملة عن هذه الجريمة، داعيا المجتمع الدولي وهيئات الأمم المتحدة إلى التحرك العاجل لوقف هذه الانتهاكات، ومساءلة الاحتلال، وتوفير الحماية الدولية لمؤسسات الأمم المتحدة، وضمان استمرار الدعم السياسي والمالي للأونروا.

المنتدى العالمي للوسطية

هيئة فكرية إسلامية عالمية ذات رسالة فكرية مستنيرة، تسعى إلى التجديد في حياة الأمة وإعادة صياغة المشروع النهضوي الإسلامي، من خلال امتلاك وسائل عملية وواقعية تجديدية في إنتاج خطاب إسلامي مستنير، يهدف إلى تعميم الفهم السليم للإسلام وقيمه وتشريعاته.

- **رؤيتنا:**

عمل إسلامي مجدد ومتجدد في خدمة الدين، عالم عادل متوازن عبر ترسيخ التدين في إطار العقيدة الإسلامية السمحة، والإسهام في تأسيس حضارة إنسانية عادلة في نهجها، متوازنة في مسيرتها، غايتها المثلى حفظ النظام الكوني.

- **رسالتنا :**

تأكيد وتأصيل منهج الوسطية والاعتدال، وإبراز صورة الإسلام الحقيقية فكراً وثقافة وسلوكاً على الصعد كلها، ونشر رسالة الاعتدال في فهم الإسلام ديناً وحضارة. وتعميم الهوية الفكرية والثقافية لإنسانية الإسلام. وبثّ روح التسامح والحوار الإنساني إنطلاقاً من وسطية الإسلام، ورفضاً لمفاهيم التطرف والغلو بكل صوره ومفرداته، للوصول لعالم يسوده الاعتدال ويعتمد الحوار، عالمٍ خالٍ من الغلو والتطرف.

المملكة الأردنية الهاشمية، عمّان
الجبيهة - شارع ياجوز - عمارة السلامة رقم ٢٢ الطابق الثالث
هاتف: ٥٣٥٦٣٢٩ - فاكس: ٥٣٥٦٣٤٩ - ص.ب: ١٢٤١ عمّان ١١٩٤١ الأردن
E-mail: mod.inter@yahoo.com - Web Site: www.wasatyea.net